د. شاوش حباسي

من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر

1830 - 1962

دار هومه

د. شاوش حباسي

من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر

1830 – 1962

رقم 1418 - 98 - 21

دار
هومه
للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر .
34 حي لابروير - بوزريعة - الجزائر
الهاتف : 36-19-94 19-41-94 الفاكس : 75-17-94

جميع الحقوق محفوظة

© الإيداع القانوني: 98 \ 423
ر. د. م. ك.: ISBN. 9961 - 66 -261- X
يمنع الاقتباس والنقل والترجمة والتصوير إلا بإذن خاص من الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عليه توكلت، وإليه أنيب ﴾

الإهـــــداء..

إلى والديّ الكريمين العطوفين اللذين حرصا على تربيتي وتعليمي أهدي هذا الكتاب.

﴿ رَبِّ ارحمْهُما كما ربّياني صَغيرا ﴾

مُقدّمة :

نهتمّ في هذا البحث بإبراز الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر بين 1830 و 1962، أي طيلة المدّة التي أقام فيها بهذا البلد، وقد أثبتنا شواهد متعدّدة عثرنا عليها خلال مطالعاتنا لكتابة هذا البحث، تثبت وجود هذه الروح لدى سياسيين وعسكريين وموظّفين سامين، وكتاب وجنود ومعمّرين وصحافيين.

وقد أسقطنا عمداً الحديث عن وجود هذه الروح عند رجال الدين المسيحيين (" المبشّرين ")، لأن ذلك أمر طبيعي عندهم غير مستغرب من جهة (1)، ومن جهة أخرى حتى لا ترسّخ في الأذهان صورة ضيّقة، إن لم نقل مغلوطة، تقصُر هذه الظاهرة على رجال الدين المسيحيين لا تتعدّاهم إلى المدنيّين والعسكريين الفرنسيين بحجّة داحضة في الحقيقة مفادها أن هؤلاء بحكم لائكيّتهم في الغالب خُلُوٌ من هذه الروح.

وقد فضّلنا استعمال عبارة " الروح الصليبية " بدل عبارات أخرى مثل " التفكير الديني والتبشيري " مثلا (2) بسبب أن ما أقدم عليه الفرنسيون في الجزائر لم يكن في حقيقة الأمر دعوة خالصة إلى الدين المسيحي، كما بشّر به المسيح عليه السّلامُ، ولو فعلوا ذلك لأصبحوا مسلمين، ولم يكن كذلك ما أقدموا عليه في الجزائر، ما حوته أناجيلهم المحرفة. بل ما وقع بمجرّد احتكاكهم بالجزائريين كان التضييق على هؤلاء حتّى يتخلّوا عن ممارسة شعائرهم الدينية عن طريق الاستيلاء على مساجدهم، ومنع المظاهر التي يتجلى فيها الدين كالأعياد وغيرها، وقطع المدد المادّي والمالي على التعليم القرآني والعربي بالاستيلاء على الأوقاف المخصصة

لهذا الغرض حتى يمنع تواصل الثقافة الإسلامية في المجتمع. وقد واكب هذه الحركة التهديمية، أو تبعها إقحام المنظومة الغربية بكل أبعادها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لتكون بديلا للمنظومة الإسلامية في مناحي الحياة المشار إليها.

فدور القهر والتسلّط السياسي، والتضييق الاقتصادي، وخنق أو إزالة المؤسسات الإسلامية (الزوايا المؤثّرة، القضاء الإسلامي، الخ...) قامت به الإدارة الفرنسية التي أشرف على تسييرها طيلة القرن التاسع عشر تقريبا عسكريون. أما محاولة إفراغ الجزائريين من معتقداتهم، وإقحامهم في دائرة التفكير الغربي، أو على الأقلّ زلزلة هذه المعتقدات حتى تنهار الروح المعنوية الدينيّة الوطنية، فيتبعها حتما انهيار المقاومة الجزائرية التي ارتكزت دوما على هذه الروح. فقد أوكلت إلى مستشرقين قاموا بها أحسن قيام.

ثم إن البنية الفكرية الاستعمارية الاستعلائية قد اعتبرت الجزائري دوما دون الفرنسي والأوروبي عموما من الجانب العرقي (تفوّق الرجل الأبيض وحتمية سيادته) والحضاري (هيمنة المفاهيم والقيم الغربية المسيحية على العالم) (3) . فما ألقاب " أهلي " و " رعية " و " بيكو " وحتى " مسلم " التي كان يُسمّي بها الفرنسيون الجزائريين طيلة وجودهم بالجزائر إلا تعبيرًا جليًّا عن هذا الاحتقار والازدراء والدونيّة. والعبارات، كما أشار إلى ذلك الأستاذ مالك بن نبي تدلّ على مفاهيم فكرية محدّدة.

ويكون في الغفلة المعرفية مَنْ ظنّ أن الأوروبيين ـ شعوبا وقادة ـ بحكم عدم التزامهم بتعاليم دينهم في الغالب في القرن العشرين، قد

لفظوا الانتماء إلى الدين المسيحي ، وأن هذا الدين لا يشكّل منبعاً لثقافتهم الجماعية، أو على الأقل ما يزال مؤثّرا في سلوكهم لا شعوريا. ولنترك الأستاذ روجي غرودي يوضّح لنا إجمالاً صلة الدين بالمجتمع والدولة في أوروبا منذ عهد قسطنطين إلى عهدنا.

كتب غرودي : " منذ خمسة عشر قرنا، أي منذ قرار ميلانو الذي أصدره قسطنطين سنة 313 م، وكذا قرار طيودوز بتسالونيك سنة 380م الذي فرض المسيحية كآخر وسيلة لتجاوز أزمة الإمبراطورية الرومانية، فإن العلاقة بقيت وطيدة بين الكنيسة وسلطة الدولة. وكانت " المسيحية " كذلك تجمع بين الدين المسيحي والحضارة الغربية.

" وإذا بدأ التفريق الطفيف بين العقيدة المسيحية والثّقافة الغربية ابتداءً من سنة 1979 - (تأمّل) - فإن استقلالية الكنيسة والدولة قد بدأت ترتسم معالمها منذ القرن التاسع عشر عندما فتّتت " القوميات " المسيحية " (كدين جامع سياسيا).

" ومنذ نهاية القرن التاسع عشر قامت محاولات لإنشاء " مسيحية جديدة " في مجتمع مفصول رسميا عن الكنيسة، وقد امتدّت هذه المجهودات إلى كلّ الأصعدة : ففي المجال الاقتصادي صيغت " المنظومة الاجتماعية " للكنيسة، وشكّلت " نقابات مسيحية "، وعلى الصعيد السياسي شُكّلت أحزاب " الديموقراطية المسيحية "، وعلى الصعيد التربوي دافع أصحاب هذا الاتجاه للإبقاء على المدارس الدينيّة".(4)

وكان حتمًا محتوماً أن ينفصل الدين عن الدولة والمجتمع في أوروبا عمليا عندما جحدت الإسلام، لأن المسيحية كدين قبل أن تحرّف ركّزت على

التوحيد ابتداءً، وخفّفت عن بني إسرائيل أحكاما قاسية كانت ترهق كاهلهم بسبب ظلمهم، وأشاعت الأخلاق الفاضلة السمحة. غير أن التشريع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كان غائبا منها إلا في قضايا عامّة (تشريع في المأكل وتحريم الربا والزنى مثلاً). وكانت رسالة المسيح عليه السلام، كما هو معروف، ممهّدة لرسالة شاملة جامعة تحمّلها بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

أما أوروبا اليوم فإنها تنتسب إلى مسيحية بشرية - إن صحّ التعبير - أي إلى أهواء بشر، وقد اطمأنّت أوروبا بما ورثت من تحريف، لأنه في الحقيقة يواكب غرائزها وشهواتها، فأضحى الدين لا يجلب تكليفا ربّانيا، ولا واجبات في صورة شعائر محدّدة راتبة، ولا شريعة ملزمة صارمة. فاكتفت إذن بالانتساب الوراثي للمسيحية بهذا المفهوم.

هذا داخل حدود أوروبا، أما نظرة الأوروبيين وحكمهم وتعاملهم مع العالم الإسلامي فإنها أسيرة الميراث النفسي للحروب الصليبية كما بيّنه شاهدٌ منهم قد أسلم، وهو الأستاذ ليوبولد فايس (محمد أسد) : " ولقد يتساءل بعضهم فيقول: كيف يتّفق أن نفورا قديما مثل هذا (أي النفور الديني)، وقد كان دينيا في أساسه (يقصد الحروب الصليبية) وممكنا في زمانه بسبب السيطرة الروحية للكنيسة النصرانية، يستمرّ في أوروبا في زمن ليس الشعور الديني فيه إلّا قضية من قضايا الماضي ؟

" ليست مثل هذه المعضلات موضع استغراب أبداً ؛ فإنه من المشهور في علم النفس أن الإنسان قد يفقد جميع الاعتقادات الدينية التي تلقّنها في أثناء طفولته، بينما تظلّ بعض الخرافات الخاصّة ــ والتي كانت من قبل تدور حول تلك الاعتقادات المهجورة ــ في قوّتها تتحدّى

كلّ تحليل عقلي في جميع أدوار ذلك الإنسان وهذه حال الأوروبيين مع الإسلام ؛ فعلى الرغم من أن الشعور الديني الذي كان السبب في النفور من الإسلام قد أخلى مكانه في هذه الأثناء لاستشراف حياة أكثر مادية. فإن النفورالقديم نفسه قد بقي عنصرًا من الوعي الباطني في عقول الأوروبيين. وأما درجة هذا النفور من القوّة، فإنها تختلف بلا شكّ بين شخص وآخر، ولكن وجوده لا ريب فيه. إن روح الحروب الصليبية – في شكل مصغّر على كل حال – ما زال يتسكّع فوق أوروبا، ولا تزال مدنيّتهم تقف من العالم الإسلامي موقفا يحمل آثارًا واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال ".(5)

هذا عن الجانب التنظيري للبحث، أما من الجانب التقني فقد قسّمنا عملنا إلى قسمين، ووضعنا لكلّ قسم شواهده، وقد عنونّا **القسم الأول : مظاهر الروح الصليبية في القرن التاسع عشر**، عرضنا فيه ما أمكننا الحصول عليه من مادّة ؛ انطلاقا من تاريخ عزم الفرنسيين على غزو الجزائر (1827) إلى نهاية القرن معتمدين التسلسل الزمني داخل هذه الفترة. وقد أبقينا على نفس الطريقة في **القسم الثاني** من البحث الذي عنونّاه : **تواصل هذه الروح في القرن العشرين**. وقد انطلقنا من بداية القرن إلى غاية سنة 1962.

وقد يلاحظ القارئ ميلنا إلى إثبات نصوص الشواهد إثباتا حرفيا في أغلب المواضع، وقد تعمّدنا ذلك حتى يظهر الحماس الديني بضمير المتكلم حيًّا في أجلى صوره، وهو الهدف المبتغى من هذه الدراسة.

القســـم الأول

مظاهر الروح الصليبية
في القرن التاسع عشر

إنّ أول مظهر نستفتح به هذا القسم ذلك الطلب الملحّ من وزير الحربية الفرنسي كليرمونت طونير للسير في حملة لغزو الجزائر بعد حادثة المروحة. وقد تُلِيَ طلبُه هذا على أسماع مجلس الوزراء بمحضر الملك شارل العاشر بتاريخ 14 أكتوبر 1827، ونقتطع منه هذه المقاطع : " إن العناية الإلهية سمحت بأن تستثار جلالتكم في شخص قنصلكم (يقصد القنصل دوفال) من طرف أعتى أعداء المسيحية (أي الداي حسين)، لذلك سيدي فإن العناية تدعو لأغراض خاصّة ابن سان لويس (شارل العاشر) للانتقام في نفس الوقت للدين وللإنسانية، ومن سباب الداي (...) وسوف نكون سعداء بمرور الزمن عندما نحضّر الجزائريين بتصييرهم مسيحيين ! وإن كان هذا الاعتبار غير كافٍ ليقدّم سببا للقيام بحرب (ضد الجزائر) فإنه سيكون على الأقل عندما تنطلق الحرب سببا للسير بثقةٍ أكبر إلى نصر، يظهر أن العناية الإلهية قد حضّرته لنا (...) إنني أتوسّل إلى جلالتكم باسم أغلى مصالح الوطن (...) أن تعزموا على الانتقام للمسيحية، وفي نفس الوقت للسِّباب الذي تعرّضتم له ". (6)

وقريبا من هذا ذهب رئيس الوزراء الفرنسي الذي اعتبر أن " سقوط الجزائر في أيدي الجيش الفرنسي سيجلب أجلّ الخدمات وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء ".(7)

ولم يكن بقيّة أعضاء المجلس أقلّ حماسا وصليبية من وزير الحربية ورئيس الوزراء، بل " أجمعت الحكومة على الدخول في حرب ضدّ الجزائر حتى تُبَيِّنَ أنّ جلالة الملك شارل العاشر الكاثوليكي هو أجلّ المدافعين عن الكنيسة، وحتى نمنع البابا من طلب الحماية من المرتدّين الإنجليز ".(8)

وحتّى يهيّئ الملك شارل العاشر الرأي العام الفرنسي لغزو الجزائر ويثير في الجيش الفرنسي الروح الدينية والوطنية

أعلن في خطاب العرش الملكي بتاريخ 2 مارس 1830 (أي قبل شهرين ونصف تقريبا من انطلاق الحملة من ميناء طولون) أن الهدف الذي كان يرمي إلى تحقيقه من الحملة الفرنسية " يجب أن يُرْضِي شرفَ فرنسا، ويَرْجَع بفضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية ". (9)

وقد حملَ الجنرال بورمون قائدُ الحملة الفرنسية على الجزائر مع الجنود ستَّةَ عشرَ قسيساً. (10)، وكان فيهم " الأب " زكار السوري، وأخ بطريك بيت المقدس.

وعندما سقطت مدينة الجزائر، ودخلها الجنرال بورمون منتصراً صرّح لهؤلاء القساوسة : " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تيْنَعَ قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع ".(11)

وقد توجّه بورمون كذلك إلى جنوده قائلاً : " لقد أعدتُّم الرباطَ مع الصليبيين " (12).

وبعد يومين فقط من إمضاء معاهدة القصبة بين الجنرال بورمون والداي حسين إثْر سقوط مدينة الجزائر، والتي نصّت صراحة على احترام الديانة الإسلامية، وضمان حرية ممارستها نصّب الجنرال يوم 6 يوليوالصليبَ على أعلى بناية بالقصبة في حفل مهيب، وقد كتب شاهد عيان فرنسي يدعى (Stefen d' Estry) يصف هذا الحفل : " عادت المسيحية من جديد للاستحواذ على بلد كانت من قبل مزدهرة به (يقصد الفترة الرومانية بالجزائر)، وقد قام قسيس بمراسيم الحفل الديني فأحنى الجنود، وهم في غبار انتصار الليلة السابقة جباههم مكشوفة للإله مانح الانتصار في المعارك، وكانت التضحية توحي بالعودة للحرية والحضارة " (13).

أما كاتب بورمون الخاصّ دومسنيل (Dumesnil) فإنه وصف الحفل بما يلي : " أقيمت هذه الصلاة في الساحة

الرئيسية للقصبة. إن تحية العالم قد تراءت لنا وسط هذه القلعة التي بناها أبناء محمد ضدَّ شعوب المسيح، وقد تردّدت عبارات الإنجيل في هذه الأماكن التي مازالت حافلة بذكريات الإسلام وحرف القرآن الميت (...) ". (14)

ولم يكتف بورمون وبقية المسؤولين العسكريين الفرنسيين بهذا بل كانوا يشعرون بوجوب القضاء على " بربرية" الجزائريين وإسلامهم وإحلال المسيحية مكانهما. فقد وجب حسب كولي (Cooley) " ضمُّ المستعمرة الجديدة تحت راية الصليب ". وعلى هذا الأساس أمر بورمون بتحويل المساجد إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية وإفساح المجال للمبشرين لإرجاع هذا الشعب إلى حضيرة الدين المسيحي في زعمهم (15) .

إلا أن ثورة يوليو سنة 1830 في فرنسا التي رفعت على العرش الملك لويس فيليب قد عصفت بالجنرال بورمون فعُزل من مهامه ولم يُسْمَحْ له بالعودة إلى فرنسا ولا امتطاء البواخر الفرنسية، فخرج من الجزائر على ظهر باخرة أجنبية مخلفا الحكم فيها للجنرال كلوزيل.

وكان الملك لويس فيليب مثل سابقه شارل العاشر المطاح به يؤمن بالدين ويعتمد عليه، وقد عمل على تقريب رجال الدين إليه لتعزيز نفوذه وعندما استقبل الملك الجديد الأسقف دوبوش " لتدشين وتشجيع النشاط التبشيري بالجزائر " فاتحه لويس فيليب بقوله : " لا يكون العرب فرنسيين إلا عندما يصبحون مسيحيين، ويتوقف ذلك علينا نحن الاثنين فلنعِد الحياة إلى إفريقيا ".

كما فاتح الملك خليفة دوبوش الأسقف بافي بقوله " يجب أن نتحلى بحسن التدبير للعمل على اعتناق العرب الدين المسيحي، أما إذا أسرعنا في ذلك فإننا سنضر بالقضية كلها، وأخيرًا لا يكون العرب فرنسيين إلا إذا كانوا مسيحيين " (16).

وكان رئيس الوزراء قيزو (Guizot) على قلب واحد مع الملك يؤمن بأن : " إمبراطورية المعتقدات الدينية لم تكن أقل أهمية الآن منها في العصور السابقة ولا أتردّد في القول بحتميّتها الآن أكثر من أي وقت مضى " (17).

ولم يتردد قيزو في إبلاغ الأوامر للإدارة الفرنسية بالجزائر لتحقيق هذا الغرض، وقد أشار إلى ذلك السيد حمدان خوجة بما يلي : " (...) وهكذا فمن الممكن أن يكون مشروع تمسيح الجزائر قد وجد في أذهان وُلاَتِنا (يقصد المسؤولين الفرنسيين) كما أشار إلى ذلك « **البريد الفرنسي** " بتاريخ 20 جوان 1833 مستعملا العبارات التالية : إن الذي لن يفاجأ به الجمهور هو أن رئيس مجلس الوزراء الحقيقي منذ ثورة جوليت وإلى عهد قريب جدًا قد كتب إلى المقتصد المدني في الجزائر يوصيه بتمسيح الإيالة، وسكوت الجرائد الوزارية عن هذا الموضوع لا تدل أبدًا على أن في الأمر خيرًا " (18) .

وبخصوص أمر رئيس الوزراء بالاستزادة من الإستحواذ على المساجد في الجزائر استند السيد حمدان خوجة على ملاحظات بيشون أحد أقطاب الإدارة الفرنسية بالجزائر ليُدلي بالحقائق التالية : " والذي يدهشنا في هذا الموضوع هو إذن رئيس الوزراء، لأننا نفهم من خلال ملاحظات بيشون بهذا الصدد في تاريخ 11 ماي 1832 أنه أعطى أوامر فيما يخص ذلك وفيما يلي فقرة بيشون : " لقد درست قضية المحلات التابعة للدين الإسلامي وإنني، منذ أن وصلت وأحطت علما بوجود لجنة تدعى " لجنة المحلات العسكرية " لم أسمع إلا صيحات متوالية فيما يخص المساجد وضرورة استزادة خمسة أو ستة منها بالإضافة إلى الستة أو السبعة التي توجد في حوزتنا.

" إن بعض الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم كمُبيدِين للديانة الإسلامية وللسكان الذين يتديّنون بها، لا يهمهم أن يعرفوا إذا كان ذلك يتفق مع وجهة نظر الحكومة ونواياها أم لا. إن هؤلاء الأشخاص كانوا يتقدّمون إليّ بنوع من الابتهاج والسخرية ليشكروني على عدم تمكني من إنقاذهم (يقصد الجزائريين والمساجد).

" (...) إنكم تدركون جيّدًا سيدي الرئيس بأنه لا يمكن أن أتردّد لحظة واحدة للمساهمة في أخذ جميع المساجد لو كنا في حاجة إليها، ذلك لأن سلامة الجيش هي الهدف الأسمى بالنسبة لي، ولكن القضية قضية ذوق وهوى بالنسبة للأشخاص الذين ذكرتهم، فالمسألة إذن ليست مسألة حاجة وضرورة(...)(19).

وفي خضم وخز هذه الاعتداءات على المقدسات الدينية وعلى المسلمين في الجزائر سجل السيد حمدان خوجة ما انتهى إليه هؤلاء من قناعة راسخة : " إن الحكومة الفرنسية بالنسبة للقبائل (يقصد سكان الجزائر خارج المدن الكبرى) توجد في نفس وضعية التاجر المذكور (التاجر الذي لا يلتزم بوعوده)، وهؤلاء القبائل لم يعودوا يفرّقوا بين الأوروبيين، إنهم يُعمِّمون ويقولون : " إنهم مسيحيون، ولا يمكن أن يصادقوهم ولا أن ينسوا حقدهم الديني، ذلك لأنهم لو أتيحت لهم الفرصة للاعتداء عليهم لفعلوا (...) وهل كان الفرنسيون يتصرفون بمثل هذه الطريقة لو أن الجزائريين كانوا يتدينون بدينهم ؟ وعلى الرغم من أنني لا أعتقد، شخصيا، بأن الفرنسيين قدموا إلى الجزائر بدافع ديني، فإن تلك هي فكرة كثير من الأشخاص الآخرين الذين يدعمون رأيهم بوقائع لا تقبل المنازعة " (20).

وأما أفعال الجنرال كلوزيل، الذي خلف بورمون كما ذكرنا آنفا، فنترك وصفها للسيد حمدان بن عثمان خوجة الذي

كان شاهد عيان : " قبل أن أتخلى عن وظيفتي (عضو في مجلس بلدية العاصمة) كان الجنرال كلوزيل قد طلب من البلدية أن تسلمه مسجد العاصمة الكائن بناحية ميناء المسمكة ليحول إلى مسرح، وأكد بأن حكومته أذنت له بأن يُقدّمَ مثل هذا الطلب فقلنا له : " إننا لا نستطيع الموافقة على هذا الإجراء (...) واكتفينا بأن قلنا له : إذا كان المرغوب هو إقامة مسرح فإنه يمكن استعمال مسكن الداي القديم الواسع، كما يمكن استعمال الأراضي المحيطة به لبناء مسرح جديد إذا اقتضى الأمر ذلك، وهكذا ظل الطلب غير مجاب ولم يُبْنَ المسرح " (21).

" ووقع كذلك تهديم ثلاثة مساجد كانت خاصة بسكان تلك المحلات الثلاث (محلات سوق الصباغين بالعاصمة) (...) إن نفس الجنرال كلوزيل (...) قد أوجب على المفتي أن يسلمه المساجد الواقعة أمام الأبواب التي يدخل منها البدو (...) مدينة الجزائر، لقد طلب هذه المساجد ليجعل منها مستشفيات لجيوشه وتعهد للمفتي أنه لن يستعملها أكثر من شهرين واضطر المفتي إلى تنفيذ الأمر ". (22)

أما الحاكم العسكري البارون برتيزين، فرغم ميوله إلى التعرف على المجتمع الجزائري والحديث الموضوعي نوعًا ما عن الإسلام ورفعه لبعض المغالطات التي كانت عند الفرنسيين بخصوص عقلية الجزائريين وطبائعهم في كتابه المطبوع سنة 1834 تحت عنوان : **ثمانية عشر شهرًا بالجزائر**، إلا أنه بقي أصمًّا وعاجزًا عن إرجاع المسلمين الجزائريين حقوقهم الدينية والمدنية والمادية، فعند حديثه عن قرار يوم 1830/12/07 الصادر في عهد الجنرال كلوزيل والقاضي بالاستيلاء على أوقاف مكة والمدينة وكذا تحويل المساجد إلى مصالح أخرى متنوعة، فقد اكتفى بالقول بأن ذلك " يخدش في العدالة أكثر مما

يخدش في تطرف وكبرياء المسلمين " (23) . وهو الحاكم العام القادر على تغيير مجرى الأمور في الجزائر لو أراد ذلك فعلا.

بل ذهب دي لور (Delort) الضابط المقرب من كلوزيل ورئيس أركان الجيش في الجزائر في عهده في ملاحظاته على كتاب برتيزين السالف الذكر إلى أن هذا الأخير قد غيّر المكان الذي اختاره كلوزيل لبناء مخيّم للجيش، فعِوَض أن يُقام المخيّم في مكان عامّ شاغر، اختار برتيزين بناء المخيّم على أنقاض مسجد الساحة الذي هدّم في عهده.

كتب ديلور : لقد أغلق مسجد الساحة لأنه تقرّر أن يُهدم. وفي شهر رمضان جاء المفتي (كذا) وأئمة أتراك (كذا) فطلبوا أن يصلوا فيه لآخر مرّة صلوات شهر رمضان، فسُمح لهم بذلك بشرطٍ صارم أن يعاد غلقه، وتسليم المفاتيح إلى إدارة البلدية عند انتهاء صيام رمضان " . (24)

وجاء عهد الدوق دي روفيقو (Derovigo) الذي خلف برتيزين (حكم روفيقو من آخر ديسمبر 1831إلى ربيع 1833)، وكان عهده بالجزائر عهد حيف وظلم وطغيان وفيما نحن بصدد البحث فيه فإن دي روفيقو قد ارتبط اسمه بتحويل مسجد كتشاوة البهيج المعمور إلى كنيسة.

وقد كتب المؤرّخ الفرنسي شارل أندري جوليان عن الحادثة نقلاً عن شاهد عيان، ومترجم في الجيش الفرنسي يدعى جوني فرعون هذه المادّة (25) : " حتى يحوّل روفيقو مسجد كتشاوة إلى كنيسة بشيء من الشرعية، فقد كوّن لجنة ترأسها بَرْ بَروجَر، وضمت مفتيين جزائريين وشخصيّتين مسلمين من بينهما بوضربة. وخلال المناقشات الحادة احتمى الجزائريون بمعاهدة 1830/07/04 (معاهدة القصبة) ورفضوا التحويل.

" إن المترجم (ابن جوني فرعون) الذي تولى المحادثات باسم الحاكم العام، وكان معجبا بروفيقو، قد كتب بأنه كان ينوي تحطيم كل شيء وإلقاء القبض على المفتين والدخول بأقصى قوة في المسجد وقطع رؤوس كل من يعترضون إرادته ".

" أما بيشون فقد اقترح بناء كنيسة بدل تحويل المسجد إلى كنيسة، وخلال الجلسة الأخيرة (يقصد جلسة اللجنة) تجمع أزيد من عشرة آلاف متظاهر أمام قصر الحكومة (...)، وقد تمكن بوضربة الذكي من الحصول على عقد بختم المفتين يعطي للفرنسيين مسجد المسمكة (أي المسجد الجديد) بدل مسجد كتشاوة.

" وقد ظلّ بيشون رافضاً لهذا الإبدال، بينما اعتبره دي روفيقو غير كاف، فصاح غاضبًا : " لقد منحونا أسوأ مسجد من حيث الموقع و التقديس، أنا لا أريده (أي المسجد الجديد) أنا أريد أجملهما ! نحن الأسياد المنتصرون ! لا أريد أن يضحك عليّ ". ولما علم دي روفيقو أن مُقدّم الطريقة الطيبية آت ومعه السكان، أمر الجنرال يوم 1831/12/17 باحتلال المسجد ابتداء من اليوم الموالي (أي يوم 18) فنصّب الصليبَ وعلَمَ فرنسا على الصومعة على أنغام تحية ا لقوات العسكرية البرية والبحرية.

" وقد تجمّع حوالي أربعة آلاف مسلم داخل المسجد، وكانت أبوابه موصدة (...) فاقتحم الجيش المسجد (...) واستولى عليه ".

(...) ولم يصدر أي اعتراض من المسيحيين الكاثوليك في الجزائر العاصمة (26) أو في فرنسا " ودشن المسجد كنيسة سنة 1832.

" وقد أرسلت الملكة أميلي تبرُّعا في صورة أدوات لتزين الكنيسة (...) كما بارك البابا غريغوار 16 الذين

كانـوا مـن وراء هـذا الإنـجاز (...) رهـم عـلى التوالي : بَرْبرُوجَر و المترجمين بلانسـي وفرعـون و المتصـرِّف جانتي دي بـوسي " (27) .

غير أنه فات جوليان أن يضـع أمام أعيننـا عـدد القتلى الذين سقطوا في هذا اليوم دفاعًا عن المسجد، ولـم يكـن عددهم بـالقليل، ولهـذا سـميت السـاحة التـي غمرتهـا دمـاؤهم الطـاهرة بساحة الشهداء إلى اليوم.

وأما في عهد الجنرال فُوَارُول (Voirol) قـائد القـوات العسكرية الفرنسية بالنيابة بـالجزائر بين 1833 و 1834 فقد وقعت حادثة بارزة كشفت انطواءه هو كذلك علـى هـذه الـروح وإن لـم يُظهـر ذلـك علنًـا. ولنـترك لـه المجـال ابتـداء ليعرّفنـا بالحادثة وملابساتها ثم نعقّب على كلامه ببعض التعليق.

كتب فوارُول إلـى وزيـر الحربيـة الفرنسـي بتـاريخ 11 سبتمبر 1834 التقريـر التـالي عـن هـذه الحادثـة :" يشـرِّفني أن أعلمكم بحـدث هـام، غـير أنـه آل فـي الأخـير إلـى درجـة مـن الخطـورة (...) جـاءتني موريسـكية (كذا) (ويقصـد جزائريـة) طُلّقت من زوجها ترغـب فـي اعتنـاق الديـن المسـيحي وتجعـل نفسها تحت حماية قوانيننا، فأخبرتها بأن تغيـير الديـن ليس مـن اهتماماتـنا في شيء، فأنا لا أشجع ذلك كما لا أمنعه (...) .

وجـاءني رئـيس الدير سبيتز (Spitz) في هذه الأثنـاء، وكان يأتيني في بيتي لتربية ابنتـي، فطلـب منـي الإذن لتحويلهـا إلى المسيحية، فما كان علي إلا القبول (...) وفـي اليـوم التاسـع من شـهر سبتمبر الجـاري بعـث القـاضي المـالكي عبد العزيـز مجموعـة مـن الرجـال اقتحمـوا البيـت الـذي كـانت تقيـم بـه الموريسكية، وكـانت قـد اكترتـه مـن يهـودي (...) فسـيقت إلـى القاضي الذي كان يحضِّر نفسه لضربها بالعصا، فأثار صياحها بعـض الأوروبيـين (...) فبعثـتُ مـساعدي إلـى عـين المـكان

ليتحققَ من الأحداث (...) فأخلي سبيل الموريسكية التي خشيت أن تقع مرة أخرى بيد القضاة المسلمين فاحتمت داخل الكنيسة وكان رئيسها دي لارن (De larne) يقيم الصلاة في هذا الحين فأقام لها مراسيم التمسيح. فنتج عن ذلك توقف المحاكم الإسلامية بالجزائر (العاصمة) واستقالة القضاة المسلمين (...) إنه حدث نوعي يشهد في صالح الإدارة، فإنها أول مرة منذ الاحتلال يحدث أن غيَّر مسلم أهلي دينه " (28).

وتجب الإشارة إلى أن تقرير فوارُول إلى وزير الحربية الفرنسي قد جاء كتبرير لمـا قامت به الإدارة التي كان على راسها في الجزائر بعد الضجة و التوتر الكبيرين اللذين سَادَا العاصمة بضعة أيام من جراء الحدث الذي ذكرناه في وقت كانت المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر في غرب ووسط الجزائر وأحمد باي في شرقها على أشدها، فخشي من ردّ فعل وزير الحربية تُجاهه. (29)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يظهر أن تقرير الجنرال فوَارُول مليئ بالغموض والصدف. فمن الغموض تنصُّر المرأة الجزائرية في زعمه لا لسبب إلا لأنّ زوجها طلّقها. وسبب كهذا في الحقيقة لا يبعث على الارتياح، لأن الصواب والمعقول أن تتوجّه المرأة المسلمة إلى قاض مسلم طمعا في أن يقنع زوجها فيردّها إلى بيتها، لا أن تتنصّر فتثير سخط زوجها والمجتمع الجزائري كله.

ثم أن الأمر لو كان إراديًا وطبيعيًا لاتّجهتِ المرأة إلى أقرب كنيسة لتطلب التنصُّر لا أن تتّجه إلى الجنرال فوَارُول. فاهتمام هذا الأخير بنفسه بالأمر يطرح شكوكا عريضةً في صِحّة ما أخبر به وزيرَ الحربية.

ولو كان تنصّر المرأة الجزائرية إراديًا كذلك لمَا جلب تلك الاحتجاجات والمعارضة والاستقالة الجماعية للقضاة

الجزائريين. أما عن اختطاف المرأة، واستعداد القاضي عبد العزيز لضربها ففيه غرابة وخروج عن المألوف في عُرف القضاء الجزائري، فمتى كان القاضي يضرب بنفسه المذنبين ومرتكبي الجُنَح ؟ فهذه الغرابة في التقرير في اعتقادنا تعصف بمصداقيته.

أما عن الصدف ؛ فأولها التقاء رئيس الدير سبيتز صدفة بالمرأة في بيت الجنرال فوَارُول ليعلّمَها دينها الجديد. وثاني الصدف دخول المرأة الكنيسة ومصادفتها لإقامة الصلاة المسيحية وتعميدها من طرف رئيس الكنيسة دي لارن.

والظاهر عندنا، في غياب شهادة جزائرية عن الحدث، أن الأمور جرت على غير ما أخبره به فوَارُول. فمن المحتمل جدّاً أن يكون على اتّفاق مع رجال الدين في الجزائر قد اختاروا هذه المرأة عنوة أو في جهلها غير دارية أو لأسباب أخرى نجهلها، لتكون نموذجا يقتدى به من طرف الجزائريين، وإيهاما منهم أن التنصُّرَ هو الخروج من " البربرية " والدخول في الحضارة. وقد ضمن الجنرال بنفسه وعمليًّا حمايَة من يسلك هذا السبيل من الجزائريين.

وما يؤكد ما ذهبنا إليه وُرُود عبارات في التقرير الذي أرسله فوَارُول إلى وزير الحربية توحي بأن الجنرال متحَمِّسٌ للأمر، مثل " حدث هام "، عند ذكره تنصّر المرأة، وتربيَته لأبنته تربيةً دينيّةً، وابتهاجه في نهاية التقرير " بتنصُّرِ" أول جزائرية منذ بداية الاحتلال. (30)

وأما الجنرال دامريمون (Damrémont) الذي خاب مسعاه في الاستيلاء على قسنطينة سنة 1836، والذي قُتِل في خريف السنة الموالية على مشارف نفس المدينة إثر الهجوم الثاني عليها بقيادة الجنرال فالي (Valée) فقد كان يشتكي إلى وزير الحربية غياب تنظيم الشعائر الدينية الكاثوليكية في

الجزائر، وعدم إشعاع الـدين المسيحي على السكان. جاء في رسالته الموجّهة إلى وزير الحربية بتاريخ 13 جوان 1837 :
" السيد الوزير، إن الدين المسيحي غير منظّم في الجزائر : ففي الجزائر العاصمة ووهران وعنابة فإنه أسْنِد إلى قساوسة من الجيش لم يُؤدُّوا مَهمَّتيْهما العسكرية والدينية في آن واحد على ما يرام. ففي بجاية لا يوجد أيّ تمثيل ديني، والسكان محرومون من الحماية الدينيّة، وقد تكرّر تنبيه وزير الحربية بذلك(...).(31)

وخلفُه الجنرال فالي (الذي انتصر الجيش الفرنسي بقيادته على أحمد باي قسنطينة في خريف 1837) قد أدرك حسب الكاتب لويس فِيـيُّو بأن " الدين (المسيحي) ضروريٌّ لتحقيق أغراض الفرنسيين بالجزائر. وأن فرنسا ستبقى أطْوَل في المكان الذي تغرس فيه صليبا من المكان الذي ترفع فيه علَماً فقط ". ثم أضاف لويس فِيـيُّو مادِحًا فالي (...) : " فلولاه لبقي الهلال يعلُو تلك المباني " ويقصد بالمباني المساجد.

وإذا كان اسم دي روفيقو قد ارتبط كما مرَّ بنا بتحويل مسجد كتشاوة إلى كنيسة، فإن اسم فالي قد ارتبط بتحويل مسجد البليدة الواسع الجميل المعمور إلى كنيسة كذلك. وقد راسل فالي مُقَدّمَ العاصمة معتزًّا ومفتخِرًا بعد عزمه على تحويل هذا المسجد الأخير يوم 04 -11- 1840 . وفيما يلي نصّ الرسالة : " سيدي، عجّلتُ بعد عودتي من المديّة بالاهتمام بمستعمرة البليدة الجديدة، وقد فكّرتُ، كما هو واجب عليَّ، أن أعطي لسكانها (الأوربيين طبعًا) الوسائل المطلوبة عادة حتّى يؤَدُّوا شعائرَهم الدينية، فحولّت إلى الديانة الكاثوليكية أجمل مسجد في المدينة، وكان يقع لحسن الحظّ على حدود المدينة الفرنسية. وهذا المسجد الذي هو في هذا الأثناء عبارة عن مستودع سيُحَول إلى كنيسة، وهذا ما أفرح الأهالي. (32)

وسأعطي الأوامرَ برفع الصليب فورًا على الصومعة إيذانًا بسيادة الديانة المسيحية، ولأظْهرَ بأفضلَ من أيِّ شيء آخرَ الاحتلال النهائي (للمدينة).

" فعليكم سيدي أن تُعَيِّنُوا من يقوم بهذه الكنيسة الجديدة. وهناك بناية صغيرة تابعة للمسجد تصلح لتكون مسكنًا للراهب . وكذا بناية تابعة للمسجد ومحاذية له ستصبح مدرسة للأطفال " (33) .

أما الجنرال بُوجو (Bugeaud) الذي طبَّق في الجزائر طريقة الأرض المحروقة وهي طريقة أطلقت للجيش الفرنسي في عهده اليد للقيام بأبشع الانتهاكات والجرائم وكذا القضاء على الحرث بالتدمير و الإتلاف، فإنه لم يتردَّدْ في استعمال عبارة " الحروب الصليبية " ليصف ما كان يقوم به ضد المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ". (34)

كما لا يُخْفِي الجنرال المهمة الحضارية المنوطة بفرنسا في الجزائر (35)، والحضارة في مفهوم بُوجُو، كما سنوضح ذلك لاحِقًا، مصدرها الديانة المسيحية. وفيما يلي شهادات متنوعة ممن عرفوا الجنرال بُوجُو عن قرب، وأولها لوالي سابق في العاصمة المدعو (H.D'ideville) استقاها من الجنرال (Duvivier) (36) وكان هذا الأخير زميلاً لبُوجُو. نسب هذا الوالي هذه المقاطع إلى بُوجُو : " هناك إنجاز آخر يُعَدُّ استمراره في عملية احتلال الجزائر أماني شريفة عند القسم السليم في الأمة الفرنسية، وهذا الإنجاز كله ديني وكله أخلاقي إنه تحضير السكان الجزائريين. لكن المسألة هنا محاطة بسحب كثيفة ووضوح خادع، وبدون قائد ماهر، و تحت تأثير إمبراطورية الأبهة قد ننساق بعيدًا عما نريد. إن الحضارة التي بين عيني هي تلك التي تنبعث بأكملها من أخلاق المسيح، وهي غير

الحضارة المادية التي محورها إشباع الحاجات ومحركها الفردانية " .

" وحتى نُحَضِّر فلا بدَّ من نشر الأفكار الإنجيليَّة، فلنفكّر جيّدًا، إن **الأفكار** (مسطرة في الأصل) سوف تضمن هيمنتنا وإن الأفكار هي التي ستحاربُنا. إن قوة عبد القادر الحقيقية، القوة التي تُبَتَتْ أمامنا منبعها من الأفكار، لذلك فإنَّ الأفكار لاتأتي عليها الا أفكار جديدة أعلى منها.

" ويجب أن يقود هذا المبدأ سيرنا نحو الانتصار، فإن ظهر أكثر بُطْئًا فإنّه بالمقابل مضمون العواقب.

" (...) وتحت الحماية الدينية أو العسكرية ستقام مستعمرات الفقر، وحينها سوف نضمن التقدم في اتجاه الاستعمار والحضارة. نعم ! وخلال قرن كامل يجب أن تكون مستعمرتنا في الجزائر حقلا دينيًّا وزراعيًّا وعسكريًّا واسعًا (...) ".(37) .

هذا وإن الجنرال بُوجُو قد ساند رجال الدين اليعاقبة (jesuites) المتواجدين في الجزائر وكذلك (trappistes) القادمين إليها في عهده مساندة معنوية قوية ومادية سخية. فقد استقبل الـ (trappistes) في قصر الحكومة يومًا واحدًا بعد نزولهم على أرض الجزائر (13 أوت 1843)، ثم قدَّم لهم إعانات عينية ومادية تمثلت في : 1,020 هكتارا، ودعمًا ماليًّا قدره 62,000 فرنك وأغراضًا عينيّة أخرى، بل خصَّص خمسين جُنديًّا من السجناء لخدمتهم، كما زوَّدهم بمجموعة من الثيران والبقر والخرفان (مجموع 118 رأسًا) (38) .

وكان بُوجُو يحضر حفلاتهم الدينية ليضرب معنويات الشعب الجزائري (39). وفي إحدى هجماته على مدينة بُوفاريك إلى الجنوب الشرقي من العاصمة، أسر بُوجُو مائتين وخمسين طفلا (250) وقدمهم إلى « الأب » برُومُو طالِبًا منه أن يربِّيهم

على المسيحية : « إنهم يتامى لقطوا في ساحة الوغى ربُّوهم واجعلوهم مسيحيين » . (40)
وقد كتب (D'ideville) بأن " الأب "ريجس الذي كان صديقا حميما للكاتب قد حدثه في عدة مناسبات عن صديقه الماريشال بوجو (رُقِي بوجو إلى ماريشال) وعن العلاقات الحميمة والودية والعطف المتبادل الذي كان بينهما. (41)
وكانت كذلك صلة بوجو بالأسقف دوبوش على نفس الدرجة من الودّ. (42)
و ذكررحالة فرنسي اسمه بوجولاط، كان كذلك على علاقة حميمة مع الماريشال بوجو، أن هذا الأخير قد سأله في جلسة في إحدى صالونات الجزائر سنة 1842 :
" ماذا نفعل في الجزائر ؟ " فردَّ الرحالة الفرنسي : " إنكم تُتمِّمون إنجاز غودَفروَى ولويس السابع وسان لويس " (43) ثم أضاف الرحالة : " وبعد حديث بوجو المطول عن " البلد المبشِّر " (أي فرنسا) استنتج الرحالة الذي كان مهتما بحديث بوجو بأن " حربنا في الجزائرهي إذن مواصلة للحروب الصليبية ! ". (44)
والرحالة بوجولاط كان أيضا من المتحمِّسين للمسيحية ونشرها بالجزائر، فقد كتب بهذا الصدد : " إن هدف حربنا في الجزائر أسمى وأقدس من هدف حروبنا الأوربية لأنها قضية الحضارة المقدسة، قضية الأفكار المسيحية الخالدة التي وعدها الإله السيادة على العالم والتي سندها العبقرية الفرنسية ".(45)
أما كاتب بوجو الخاص لويس فييُّو فقد بالغ في النيْل من الإسلام والمسلمين في الجزائر، وعمل كذلك على إثارة الحقد الصليبي في كتابة المطبوع أزيد من عشر مرات والموجَّه إلى الجمهور الفرنسي العريض، وسرعة نَفادِه من الأسواق

دليل على تقبل الفرنسيين ما جاء فيه واعتمادهم لآرائه وعواطفه الدينية. (46)

جاء في مقدمة كتابه، وقد سبق ذكره : " أزفت آخر أيام الإسلام (...) إن الهلال الذي هوجم في كل موضع ينكسر ويتلاشى، إن الإله يبعثه ويرسله في الوقت المعلوم إلى الصحراء التي ظهر فيها ليهلك فيها " . (47)

وجاء في موضع آخر من كتابه هذا : " وددتُ في هذه الشتاء (سنة 1841) أن أرتدي بذلة جنودنا، وأحس وقع إحدى هذه السيوف على فخذي، فهي سيوف الإله الموجّهة تجاه أعتى أعدائه ". (48)

وأما الجنرال دي لامورسيير (De la Moricière) الذي حل بالجزائر مع جنود الحملة سنة 1830 ثم رقي إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي ثم وزيرًا في الجمهورية الفرنسية سنة 1847، والذي استسلم له الأمير عبد القادر في نفس السنة الأخيرة بعد جهاد دام قرابة خمس عشرة سنة، فإنه لم يخرج هو كذلك عن سنّة سابقيه. فقد حوّل مسجدًا إلى كنيسة بوهران وكان جد متحمساً لنشر المسيحية في الجزائر والكلمات التالية الموجّهة إلى البابا جلية في هذا المعنى : " لقد رأيت الآباء يعملون (أي رجال الدين المبشرين)، لقد أحببتهم وقد علموني أنه يوجد انتصار آخر فوق كلِّ انتصار هو الذي ننتصر فيه للمسيح أكثر من أي انتصار لقهر العالم ".

فرد عليه البابا بهاته الرسالة : " عزيزي.. أبعث إليكم بوسام المسيح الذي أحسنتم خدمته والذي أتمنى أن يكون مكافأة منا إليكم ".(49)

وقد جاء في الجزء الأول من مؤلّف كيلر الذي أرّخ بإسهاب وتفصيل لحياة دي لامورسيير العسكرية

والسياسة والدينيــة في مجلدين كاملين هذه المادة التي لها صلة بموضوع بحـــثنا.

رد دي لاموريسيير يوم 10/ 01 / 1832 علـى الذيـن كانوا ييئسونه من مواصلة الحرب ضـد الجزائريين بأنـه " عنـد الشعوب المتخلفة (هكذا كان يعتبر الجزائريين) فـإن الحـرب بمثابـة عمـل دينـي حقيقـي، وأن الاحتـلال عـامل قـوي لجلـب الأفكار. لذلك فلابـدّ أن يحمـل السـلاحَ رجـالٌ لمـدة طويلـة بيـن حدود الحضارة والبربرية كما هو الحال في الجزائر ".

ويوضّـح الكـاتب أكثر طبيعـة الأفكـار التـي كـان دي لاموريسير يريد أن تنتصر في الجزائر : " إن الصــراع العملـي للحضـارة المسيحية ضد البربرية الإسلامية بضروراتها فــي كـل حيــن، سـيصبح أكـبر اهتمـام فــي حياتـه (...) إن اتصالـــه بالمسلمين نفسه قد أعاده تدريجيا إلى العقيـدة الكاثوليكيـة ركـيزة المجتمع الفرنسي، والقادرة وحدها علـى إدامـة العائلـة وتأسيس الحرية السياسية والمدنيّـة والضامنة لتفوقنا على العرب ".(50)

ومعلوم أن الجنرال دي لاموريسيير قد تولى قيادة جيوش الفاتيكان بعد عزلــه إثـر ثـورة 1848 فـي فرنسـا، وإليـه ينسـب التصريح التالي : " إن المسيحية ليست فقط دين العالم المتحضّر ولكنها أساس وحيـاة الحضـارة نفسـها منـذ أن أصبحـت البابويـة رمز المسيحية ". (51)

وكسابقيه الذين أرّخوا للقادة العسكريين في الجزائر فـإن كيلَـر هو نفسه معجب بأفكار الجنرال ومتحمِّس دينيا مثله، فقد اعتبر أن " العناية الإلهيَّــة أرادت أن يسلّم عبد القـادر(الأمـير) سيفه إلى الذي هزمــه فعـلا (...) (أي دي لاموريسيير) وكـان يمثل حقيقة المقاتل المسيحي المنتصر علــى الإسلام والحضـارة مروّضَة البربرية ".(52)

وجاء في موضع آخر من كتابه : " لا أحد أصبح يعتقد في اندماج المعمّرين بالأهالي، هذا الاندماج ممكن بين أمم العائلة الأوربية الكبيرة التي حضارتها هي بنت دين واحد، لكنها مستحيلة مع المسلمين لأن القرآن يضع عندهم العائلة والمجتمع في قالب مغاير تمامًا ". (53)

وعلى ذِكْر ثورة 1848 التي غيَّرت مجرى الحياة السياسية للجنرال دي لامورسيير، فإن الثوريِّين " اللائكيين " حسب قاموسهم الإيديولوجي بالطبع، قد أنشدُوا بحماس النشيد التالي حينما كانوا يتهيأون للانتقال من حبسهم بـ : (Belle Isle) سنة 1851 للالتحاق بالجيش الفرنسي في الجزائر :

تحت السماء المحرقة الجزائرية..
إذا سمح الإله لنا يا أصدقاء..
سنَدْعُو إلى الجمهورية طوائف محمد.. (54)
فلنقم الحواجز حتى في الصحراء..
وليدوِّي رصاصُنا من وراءِ البحار. (55)

وليلاحظ القارئ وصفهم للجزائريين وصفًا دينيا بتسميتهم " طوائف محمد " وكفاه تعبيرٌ دال على ما كانت تنطوي عليه أنفسهم وبأي منظار كانوا ينظرون إلى الجزائريين.

ومعلوم أن الشعر الشعبي المتداول في كل أوربا إلى عهد قريب وهو ما يسمى بأغاني التروبادور الحماسية هي ميراث الحقد الموروث عن الحروب الصليبية، يدعو " المؤمنين " في مقطع إلى قتل " المُحَمَّدِيِّين " والتنكيل بهم تقَرُّبًا إلى البابويَّة وتكفيرًا عن الخطايا.

وأمــا الـجنـرال راندون (Randon) الذي عُــيِّنَ حاكــمًا عاما علـى الجزائـر فـي ديـسمبر 1851، والـذي ركَّــز عــلى استئصــال المقاومة الجزائرية ببلاد القبائل على الخصوص، فإن كاتبَ تقرير رسمــي إلـى وزير الـحربية الفرنسي تحت عنوان : " الديانة المـسيحية وتطور انتشارها في الجزائــر " يثْـنِّــي عليـه بهذه العبارات : " (...) فليس هناك أحسن منه (أي رانـدون) في دعم وتطوير المؤسسات (الدينية المسيحية) التي أنشئت في عهد سابقيه ". (56)

وكانت " أخوات الرجاء الطيب " اللائي قدمن في عهده إلى الجزائر تحت رعاية زوجته. وقد كثر بناء الكنائس في عهد رانـدون بالمقاطعـات الثلاثـة، حسـب التقســيم الإداري للجزائــر آنذاك، فعدَّ نفس التقرير إنجاز سبع كنـائس جديـدة فـي مقاطعـة الجزائر، وكنيستين في مقاطعة وهران وكذلك كنيستين بمقاطعـة قسنطينة، وذكر نفس التقرير كذلـك أن سبع كنـائس أخـرى فـي مناطق مختلفة من الجزائر كانت في طور الإنجاز وأن مشــاريع إنشاء كنائس أخرى كانت مُهَيَّـأةً. (57)

وكان الجنرال راندون يصطحب الأســاقفة عند خروجـه لحرب الجزائريين ليضفــي علـى هـذه الحـرب بُعْدًا دينيـا، فبعـد انتصــار الفرنسـيين علــى المقاومـة الجزائريـة فـي بـلاد القبـــائل تحت الـقيادة الـروحية للـثائرة " لالة فاطمة "، ذهب الفرنسـيون إلى عين الحمام ومعهم الأسقف بافي وأطلقوا عليها اسـم حِصْن الإمبراطور، فبارك الأسـقف هـذا العمـل وذكرهـم بـأن المنطقـة كانت مسيحــية فــي يـوم مـن الأيـام. ثـم خطـب رانـدون خطبـة شجَّع فيها الجنود وذكر أنهم عادوا بعد إقصاء الرومان مـن هـذا البلـــد. (58)

ولا يختلـف عهد نـابليون الثـالث فـي الحقيقـة عن عهـد سابقيه، وإنّ أوّل بعــض الكتــاب مثـل إيمـيريت (59) سـوء تفـاهم

السلطة الفرنسية في فرنسا وفي الجزائر مع رجال الدين المسيحيين إلى " صراع " بين الطرفين.

وقد وصف تقرير عثماني سياسة نابليون الدينية بما يلي: " سياسة ارتجالية اتسمت في كثير من الأحيان بالتناقض، وموقفه المتشدد بادئ الأمر تجاه المبشرين ثم تسامحه وإفساح المجال لنشاطهم، لا يخضع لأي مبدإ واضح ولا تبرّره أية قاعدة سياسية، ولعل للإمبراطورة زوجته بعض التأثير في ذلك خصوصا إذا علمنا أنها كانت متديّنة (...) ". (60)

أفادنا هذا التقرير بأن زوجة نابليون الثالث كانت متدينة ومتحمسة لنشاط المبشرين ومعينة لهم. أما عن الخلاف، ولا وجود لصراع ألبتة. فإذا أمعنا فيه النظر وجدناه في الحقيقة خلافا تكتيكيا لا جوهريا بين إمبراطور فرنسا وحاكم الجزائر ماك ماهون ورجال الدين المسيحيين. فنشاط " المبشرين " في الجزائر بالطريقة التي سلكوها كان مُثِيرًا للجزائريين في وقت كانت فيه المقاومة الجزائرية المسلحة مستمرة (61).
(وسنذكر بعض الأمثلة في الفترة ما بين 1867 إلى 1870 لاحقًا)، فخشي الإمبراطور وماك ماهون أن يزيد " المبشرون " في تعقيد الوضع العسكري في الجزائر، ولم يستمر هذا التحفُّظ بتغيُّر الحاكم العام في الجزائر، وسنرى لاحقًا إعلان دي قيدون (De Gueydon) صراحة عن حرية التبشير وإعانته إعانةً معنوية ومادية.

كذلك فإن الخلاف بين نابليون وماك ماهون من جهة ورجال الدين المسيحيين من جهة أخرى كان نتيجة تطلع فرنسا إلى منافسة الإنجليز في أمريكا الجنوبية في المكسيك بالخصوص (1857) حتى لا تغيب عن مسرح الأحداث العالمية آنذاك، كما عرف عهد نابليون الثالث حرب القرم (انتهت سنة 1855) ، ومعلوم أن الجزائريين قد " شاركوا "

في الحربين، لذا كانت الحكمة السياسية تقتضي التحفظ من الدعم المباشر للمبشرين وتشجيعهم علنًا حتى يدافع الجزائريون في حروب فرنسا الخارجية أفضل دفاع عن مصالحها.

غير ان الثابت في الأيديولوجية الفرنسية لم يتغير قط في عهد نابليون الثالث، بل أضحت أمر الثقافة يخضع الجزائري إلى التخلي عن أحواله الشخصيه الإسلامية وهي جزء من الدين، إذا أراد أن يصبح مواطنا فرنسيا كامل الحقوق في الجزائر.

وهذا أحد مضامين قانون سناتوس كونسولت (Senatus Consult) أي قانون مجلس الشيوخ، الذي صدر في عهد نابليون الثالث سنة 1865، وهو إن صح التعبير " تبشير " بالترغيب المادي والمكانة الاجتماعية وبالأمن في ظروف قهر وتسلط وفاقة كان وقعها مجتمعة شديدًا قاسيًا على الجزائريين.

وأكبرُ متحمّس لتمسيح الجزائريين من الحكام العامين كان الأميرال دي قيدون (De Gueydon) حتى لقّبه المعمرون : بـ " الأميرال كردينال ". (62) وقد أعلنها حربا مكشوفة على المسلمين والإسلام في الجزائر بمراقبته الشديدة الدائمة للزوايا وإهمال المؤسسات الدينية الإسلامية (63) ومنع الجزائريين من أداء فريضة الحج، وفي المقابل أطلق اليد الطولى للمبشرين بقيادة الكاردينال لافيجري للنشاط الواسع في الجزائر وأمدّهم بالدعم المادي والحماية.

وكان دي قيدون يردّد علنًا : " أمضيت حياتي في حماية البعثات الكاثوليكية في كل بحار العالم، فلن أسمح أن تضطهد على أرض فرنسية. فالتحفظ الكبير لازم، وكذا حسن الأداء بالأفعال لا بالخطب، غير أنه حان الوقت لنشرك بالتدرج الشعب المغلوب (أي الجزائريين) في الحضارة المسيحية ".

وقد استغلّ الكردينال لافيجري تشجيع ودعم دي قيدون فجمع إثر مجاعة 1867 ـ 1868 حوالي 1750 طفلا تتراوح أعمار أغلبيتهم بين الثامنة والعاشرة قصد تربيتهم تربية نصرانية. ولم تُفلح طلبات أهلهم وذويهم لاسترددادهم من أيدي لا فيجري لأن الحاكم العام والإدارة المحلية في الجزائر لم يحرّكوا ساكنًا، كما لم يفلح مسعى المستشارين العامين الجزائريين الثلاث الذين انتقلوا إلى باريس واتصلوا بالسلطات الفرنسية لنفس الغرض بعد أن جمّدت العدالة المحلية دعاويهم.

وحسب المؤرخ الفرنسي أجرون الذي نقلنا عنه هذه المادة، فإنه لم يرجع من مجموع 1750 طفلا إلى أهلهم إلا مائتان (200)، وذكر أن ستمائة (600) منهم قد هلكوا دون أن يذكر سبب أو أسباب هلاكهم، أهي آثار المجاعة والمرض بسبب مصادرة أملاك الجزائريين وإفقارهم ليسهل انقيادهم إليهم ؟

أم بسبب إضرابهم عن الطعام والشراب حتى يردوا إلى أهلهم ؟ أم بسبب آخر ؟ كل الاحتمالات واردة. ولم يبق عند لافيجري حسب نفس الكاتب سنة 1871 إلا ثلاثمائة وثمانية وسبعون طفلاً (378)، وثلاثمائة واثنتان وأربعون بنتًا (342) ، نقل منهم ثلاثمائة (300) إلى فرنسا، ووُضِعَ قِسْمٌ آخر منهم بالحراش، والبقية بقريتين أنشئتا بمنطقة العطاف. (64)

وفي نفس الفترة (1868) اشتكى السيد محمد السعيد بن علي الشريف مقدم زاوية أقْبُو لنائب الحاكم العام بقوة وعزة استفزازات الكاردينال لافيجري : " لقد قرأتُ رسالة لافيجري المؤرخة يوم 6 أبريل والتي أعلن فيها عزمه على استبدال القرآن بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي، لقد كان وقع هذه الرسالة شديدًا على المسلمين. إنّني رجل دين، وكل مسلمي جيلي يفكّرون مثلي : إنّنا نفضّل أن نرى أولادنا يموتون كلهم

من أن نراهم يصبحوا مسيحيين. فليس هناك مساومة في هذا الأمر. لقد وعدتمونا بعدم المساس بديننا، فإذا أخلفتم هذا الوعد وخالفتم قسمكم فإننا بالمقابل غير ملزمين بوعدنا تجاهكم " (65).

غير أنّ شكاوى واحتجاجات السيد ابن علي الشريف ظلت دون استجابة حيث كثُر تحرّك المبشرين في بلاد القبائل وسكان المنطقة لهم بالمرصاد. فقد جاء في تقرير رسمي فرنسي أنه كادت " تحدث اضطرابات يوم 12 جوان في سوق بني منقلات حيث همّ حوالي ثمانية إلى عشرة آلاف قبائلي بقتل أمين قرية (مشرف على قرية) لأنه بعث برسالة إلى اليسوعيين " (66).

وفي سنة 1870 أثارت من جديد محاولة " أخوات العقيدة المسيحية " اختطاف بنتين من أهلهما منطقة القبائل. فأمام تكرُّر استفزازات المبشرين وتواطئ الإدارة معهم، اضطر أعيان من تيزي وزّو وعين الحمام إلى الهجرة إلى سوريا ".(67)

وتجدر الإشارة إلى أن المرشال نيل (Niel) وزير الحربية آنذاك، والجنرال صوني (Sonis) الذي ثمّن مهمة لافيجري بأنها " المهمة الوحيدة التي يمكنها أن تقدم الحقيقة إلى هذا الشعب " (يقصد الشعب الجزائري)، والجنرال ومفان (Wimpfen) الذي اعتبر تنشئة لافيجري يتامى المسلمين على المسيحية " كأجمل وأجل مشاريع هذا القرن " والطبيب فارنيي (Warnier) (كان عضوًا في المجلس الوطني) الذي كتب إلى لافيجري يطمئنه ويحثُّه على مواصلة عمله بهذه العبارات : " أمل أن تستمر في نشاطك من أجل انتصار الحضارة وبعث الكنيسة الإفريقية وسط هؤلاء الجبليِّين الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط ". (68) فكل هؤلاء كانوا حريصين على أن تُقْتَلعَ جذورُ الإسلام من الجزائر وأن تحلَّ مَحَلَّهُ المسيحية.

القســـم الثانـــي

تَوَاصُل هذه الروح في القرن العشرين

و أبرز مظهر للروح الصليبية عند الفرنسيين في العشرية الأولى من هذا القرن محاولة بلدية العاصمة تهديم مسجدي العاصمة الكبير والجديد سنة 1909 لإعادة بناء الواجهة البحرية للقصبة السفلى. وقد لخص الاستاذ مينيي (Meynier) هذه الحادثة عن جريدة الأحبار (**L'akhbar**) بتاريخ 28 ماي 1913 بما يلي : " احتجّ المستشار البلدي دي رودون دي كولومبيي (De Redon de Colombier) لأنه لا تقطع في العاصمة كل هذه " الأشجار العربية ". وفي نفس الأثناء كان الحديث في البلدية بخصوص تهديم المسجدين الجديد والكبير لبناء عمارات رغم تصنيفهما معْلمين تاريخيّيْن منذ سنة 1865. إن المشروع الذي حضّره دي رودون، المهندس المدني، توقع اعادة بناء الواجهة البحرية بضواحي ساحة الحكومة وحيّز واسع من القصبة السفلى.

وبعد تظاهر الاف من الجزائريين أمام مقر البلدية تدخل الحاكم العام جونار، فأقبر المجلس البلديّ هذا المشروع في شهر جوان 1909.

" وعادت القضية إلى الواجهة في السنة الموالية (1910) حيث استطاع دي رودون أن يحصل على عشرين صوت مقابل ستة عشر (أصوات أعضاء المجلس البلدي) لصالح مشروعه. وقد صوت رئيس البلدية، وكان في نفس الوقت رئيس لجنة حماية الجزائر القديمة، شارل دي غالون (Charles de Galland) لصالح المشروع.

" وقد استدعى الأمر تدخُّل مدير جريدة الأخبار (**L'akhbar**) بارُوكان (Barrucand) لدى بريان (Briand)(69) الذي وعده بأن المسجدين سيبقيان مُصنّفان دائمًا معْلميْن تاريخيَّيْن، وبهذه الصفة فلن يُهدّما.

" وقد وجّهت رسالة احتجاج إلى أكاديمية الكتابات الأثرية والنقوش التي يشرف عليها ستيفان غزيل (Stéfane Gsell). وكذا مراسله بالجزائر وقد احتجت كذلك أكاديمية الفنون الجميلة والصحافة الباريسية وطالبت بأن تدين لجنة حماية الجزائر رئيسها غالون، الذي استقال من منصبه. أما دي رودون فقد غضب غضبا شديدًا رغم انتخابه عضوا بالوفود المالية (70) واضطر إلى تغيير مخطط أعماله (...) وبعد هذه الحادثة اكتسب دي رودون شعبية واسعة في كل البلد ".(71)

ما يلفت الانتباه من قراءة هذا الوصف للحدث أن الحاكم العام جونار لم يتدخل سنة 1909 لمنع تهديم المسجدين إلا بعد تظاهر الجزائريين بكثافة، ثم غاب كل أثر تدخل بالمنع من طرفه في السنة الموالية مع أنه بقي حاكمًا عامًا بالجزائر (72) فالصمت في حقه كاول مسؤول في الجزائر موافقة على المشروع.

ثم إن الذين تدخّلوا من الفرنسيين من ليبراليين وشخصيات علمية ومؤسسات ثقافية لمنع تهديم المسجدين قد اعتبروهما معلّمين تاريخيين، أي أنهم تدخلوا لحماية آثار قديمة راقية في الجزائر لا ليدافعوا عن مكانين للعبادة باسم ضمان حرية العبادة وأماكنها مثلا، أو استندُوا إلى معاهدة القصبة (4جولية 1830) التي تضمن للمسلمين في الجزائر حق العبادة وأماكنها . فمنطلق الدفاع عن المسجدين في حد ذاته - مع تقديرنا لشجاعة أصحابه ـ ينفي دون شك احترام الراغبين في التدمير والمدافعين عن المسجدين على السواء للإسلام في الجزائر. فالفريق الأول كان حريصًا على إزالة المعالم الدينية التي تُذكّر الناس بدينهم وتُشِعُّ على العاصمة بضياء الإسلام . (73)

وأما الفريق الثاني المدافع عن المسجدين كَمعلْمين تاريخيَّيْن لا كمؤسّستين دينيتين فإنما كان همُّهم أن تحفظ الآثار العمرانية لأن يوجِّهوا المسلمين بدفاعهم عن المسجدين إلى التمسُّك بالدين وارتيادهما والمحافظة على القيم الدينية الإسلامية.

وأخيرًا فإن السمعة الحسنة الواسعة التي حصَّل عليها دي رودون بين المعمِّرين الأوربيين في الجزائر بسبب حرصه على تهديم المسجدين تغني عن كل تعليق.

ولا نغادر عهد جونار بالجزائر دون الإشارة إلى تدعيم قانون سناتوس كونسولت (1865) بقانون 4 فبراير 1919 المدعو " قانون جونار " الذي أكّد من جديد إلزاميَّة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية للحصول على حقوق المواطنة الفرنسية. (74)

أما خلفُه شارل لوطو (Charles Lutaud) فإنه هو كذلك كان يؤمن إيمانا عميقا بانتصار الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية، وإن انتسب إلى الماسونية التي كانت آنذاك تعلن دفاعها عن حقوق الإنسان والأخوّة الإنسانية العامة. فقد خطب في جمع من الشباب الجزائري الاندماجي بمدينة تلمسان بهذه العبارات : " إنني من الذين يثقون بعمقٍ في وحدة الجنس البشري، وفي كلّ مرّة يحصل فيها شخصٌ على محاسن التعليم (الفرنسي) والحضارة فإنه سيتقرّب منّا. وبعد مراحل متتالية يمكنه الحصول على نفس حقوقنا. إنه قانون التطوّر البطيء، لكنه حتميٌّ (...) وفي اليوم الذي يكون للشباب الأهلي نفس تعليمنا، وعندما يتخلّى عن بعض الخلفيات، حينها يمكن قبول كلّ طلباتهم ". (75)

وقد أوضح لوطو هذا الإجمال في مناسبة أخرى حين صرّح بأنّ " المواطنة في إطار القانون الإسلامي (أي الشريعة) ليست فقط جارحة لقانوننا العام والخاص، بل هي خطيرة كذلك على سيادتنا في الجزائر ". (76)

في نفس الفترة، أي أثناء الحرب العالمية الأولى (1916) سعت لجنة ترأسها اليساري الفرنسي هيريو (Herriot) لجمع المال لبناء مسجد باريس (77)، غير أن هذه اللجنة قد وجدت معارضة صارمة من الحاكم العام لوطو باسم " الحياد الديني "، واقترح نفس الحاكم بأن تبنى " دار للضيوف " بالنظر إلى قلة الذين يترددون على مسجد نوجان (Nogent) (78). لكن دوتي (Doutté) بقي متمسكًا بمشروع بناء مسجد باريس ورغب في أن يلحق بجامعة إسلامية فرنسية لكن الحكومة الفرنسية تبنت موقف الحاكم العام، فرفضت إمداد المشروع بالمال اللازم بحجة تعارض هذا الفعل مع لائكية الدولة الفرنسية، وتأجل هكذا بناء مسجد باريس والمعهد الاسلامي إلى سنة 1926. (79)

مرة أخرى تنكشف نوايا الحكام العامين والمسؤولين الفرنسيين تجاه القضايا الدينية الإسلامية، فكيف يرفض المشروع باسم " لائكية الدولة " ثم يحقق بعد مرور عشر سنوات ؟ فهل تغير القانون الذي يمنع هذا أم أن الذين رفضوا المشروع قد تغيروا ؟ الظاهر أن الذين رفضوا المشروع هم الذين تغيروا. ثم إن الذين سمحوا بتحقيقه سنة 1926 كانوا يسعون إلى تجسيد " الإسلام الفرنسي " عن طريق مثل هذه المؤسسات، وهو سبيل لا يخلو في النهاية من مثل خطر المحاربة المكشوفة، بل قد يكون أخطر منها، فالقوم على قلب واحد لكن سبلهم في تحقيق ذات الهدف مختلفة.

مظهر آخر لهذه الروح أثناء الحرب العالمية الأولى وجدناه عند القائد العسكري لابيرين (Laperrine) الذي أرسل التعليمة التالية بتاريخ 16 أفريل 1917 إثر مقتل دي فوكو إلى القيادة العسكرية بتمنراست : " أما بخصوص مقتل الأب دي فوكو (De foucauld) فإن العقوبة يجب أن تمتد لا إلى

الجماعة التي أقبلت إلى تمنراست فقط (يقصد الذين قتلوا دي فوكو) ولكن إلى المخبرين والمتواطئين. يجب الوصول دون مراعاة للزمن إلى وضع القائمة الكاملة للمسؤولين عن هذه الجريمة، وشطبوا أسماء الذين سوف يقتلون، الواحد تلو الآخر". (80)

فدي فوكو مخبرٌ عسكريٌّ أوّلا و" مبشّر" في نفس الوقت. وقد اهتمّ بالصحراء الجزائرية وبلغة التوارق، وقد ترك قاموسا من اربعة مجلدات في هذه اللغة، وليس غرضنا هنا الكشف عن مهمّة دي فوكو العسكرية في الصحراء، ولا غرضه من الكتابة في موضوع اللغة الترقية، وانما موقف القائد العسكري لابيزين. فهو يلقّب دي فوكو بـ " الأب " في مراسلة داخلية رسمية بينه وبين قواده العسكريين ممّا يضفي عليها طابعا دينيّا واضح الأثر. ثم ان إكبار لابيزين " للأب " دي فوكو أملى عليه ذلك الحرص على الانتقام الشديد من قاتليه.

وننهي الحديث عن هذه الفترة الزمنية بالتنبيه إلى أن البند الثامن والثلاثين بعد الأربعمائة من معاهدة فرساي التي أمضاها قادةُ أوروبا وأمريكا عقب الحرب الكونيّة الأولى، قد نصّ على حريّة وجواز التبشير.(81)

أما عن فترة ما بين الحربين العالميتين فقد جمعنا مجموعة من المظاهر تؤكّد بقاء الروح الصليبية في جيل القرن العشرين. ففي سنة 1921، لام السيد ابن رحّال (82) في تدخله أمام القسم العربي في الوفود المالية الإدارة التي أهملت كليّة تدريس اللغة العربية في المستوى الابتدائي، واقترح أن تُدرّس اللغة العربية من طرف جزائريين، وبأقلّ تكلفة. كما اقترح تحفيظ القرآن الكريم للتلاميذ الجزائريين : " فلا أحبّ إلى قلب المسلم من اللغة التي يتجرّعها مع حليب أمه، والتي يقرأ بها الكتاب المقدس، والتي يذكر بها الله ".

فأثار تدخّله هذا غيظ صحفي من جريدة **صدى الجزائر** (**L'écho d'Alger**) التابعة لغلاة المعمِّرين الذي كتب رادًّا عليه بسخرية بما يلي : " بعد تسعين سنة من " الثقافة الفرنسية " يعارض عرب وبربر الجزائر (كذا) الفكر الفرنسي بالمذهب الفلسفي للقرآن. إن ما قُمنا به لصالحهم لا قيمة له، فإنهم لم يحتفظوا إلا بشيء واحد، وهو أنه بإمكاننا أن نساعدهم على التطوّر ويطلبون أن يكون ذلك في اتّجاه الإسلام " (83).

وفي سنة 1924، صرّح المستشار غاسير (Gasser) بأن الجزائري سيبقى متخلّفا ما بقي متمسّكا بالإسلام : " لن يتطوّر الجزائري ما دام مسلما، لأن الدين الإسلامي غير متلائم مع التطوّر " (84). وفي أواخر نفس السنة ذكر الشيخ محمد خير الدين، وهو وقتها من شيوخ الإصلاح في الجزائر، بأنه تلقى دعوة مستعجلة من الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس " وسلّمني رسالة وصلت إليه من رئيس شعبة جمعية العلماء بورْ قَلة يقول فيها : إن الحاكم قد خوّل السلطة لقساوسة الآباء البيض في منع المسلمين من الصلاة في المسجد، ونقل التلاميذ من المدارس القرآنية إلى مراكز التبشير بإشراف رجل جزائري يدعى يوسف صالح، كان يعلّم أبناء المسلمين في الكتاتيب القرآنية ثمّ تنصّرَ، وكلّفه القساوسة بتنشئة التلاميذ على الدين المسيحي وتلقينهم الأناشيد الدينية المسيحية (...) " (85).

وفي مدينة تبسّة استدعى حاكمها الشيخ العربي التبسِّي، وقابله متحمِّسًا مستفِزًّا بهذه الجملة : " تـُريدُونَ بَعْثَ القرْآن ؟ أمَّا نحنُ فنُريد قبْرَه ! " (86).

وغداة استسلام المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي بالريف المغربي سنة 1926، كتبت جريدة أوروبية في قسنطينة هذه الافتتاحية : " استسلم عبد الكريم بلا قيد ولا شرط، والتمس حماية فرنسا، ذلك ما كنّا نتمنّاه. وإنّ الحادثة لمن الأهمية

بمكان، فإنها تتعدّى ـ كما كتبناه آنفا ـ حدودَ شمال إفريقيا، فهي طعنة نجلاء طعنت الإسلام في الصميم. وفي وسعنا الآن أن نفتكَ بهذا الدين الفتك الذريع ونقضي عليه القضاءَ المبرمَ ". (87)

وإثر الاحتفال الضخم الصاخب الذي أقامه الفرنسيون بالجزائر سنة 1930، بمناسبة مرور مائة عام على احتلالهم لهذا البلد، فقد تعالت فيه مظاهر الصليبية سواء في الاحتفال نفسه الذي أشهر فيه رجالُ الدين صلبانهم عالية أم في تصريحات المسؤولين الفرنسيين. قال حاكم تبسّة الذي حضر هذا الاحتفال، والآذان صاغية إليه راضية : " إننا جئنا إلى الجزائر لندفِنَ القرْآن " . (88)

وفي نفس السنة دافع وزير الخارجية الفرنسي بحماس عن جمعيات التبشير أمام البرلمان الفرنسي حتى تنال حظّها الوافر من الدعم المالي للقيام بنشر المسيحية خارج حدود فرنسا. وقد كتب الشيخ محي الدين القليبي (الذي خلف الشيخ عبد العزيز الثعالبي في إدارة الحزب الحرّ الدستوري التونسي) : " ولقد كان أجلى مظهر لهذه السياسة في الموقف الذي وقفه وزير خارجية فرنسا أمام البرلمان، عندما وقعت المناقشة بشأن فصول من الميزانية الفرنسوية تتضمّن العناية بجمعيات التبشير ومحاولة الاعتراف بها، إذ قال ما مفادُه : " إن فرنسا غير متديِّنة داخل حدودها وإنها متدينة في الخارج " فلقد أوجدت هذه التصريحات روحًا جديدًا في دُعَاة الكنيسة الكاثوليكية أصبحوا بها وكأنما نشطوا من عقال لمحاولة تنصير مسلمي شمال إفريقيا ولعلّ هذا هو الذي جَرّأهم على إقامة المؤتمر الأفخارستي فوق أطلال قرطاجنة هذه الأيـــام ". (89)

وفي الثلاثينيات عرفت جمعية العلماء منذ تأسيسها في ماي 1931 سلسلة من المضايقات والمتابعات والتهديدات لأنها

عزمت على إحياء اللغة العربية والدين الإسلامي بخلفية وطنية بالجزائر. واهمّ القوانين التي أصدرتها الإدارة الفرنسية بهذا الصدد قانون رينيي (Reynier) سنة 1933، وقرار 8 مارس 1938. ومجمل ما جاء في هذا القانون، وقرار 8 مارس وضعْ قيود خانقة على الصحافة الإصلاحية الصادرة باللغة العربية. وعلى حرية تعليم هذه اللغة، واشتراط الرخصة الرسمية لمن كان يريد التدريس في المساجد، ولم تسلم حتى الصحف الصادرة عن جزائريين باللغة الفرنسية.

وقد علّق الحاج أحمد مصالي زعيم نجم شمال افريقيا انذاك على مضمون احد هذه القوانين المقيّدة الزجرية يوم 26 ماي 1934 بباريس أمام ستمائة مستمع بهذه العبارات : " ان رغبة الحكومة في منع الصحافة العربية الناطقة باللغة الفرنسية، يُظهر جليّا ويؤكّد سياستها القمعية، والأخطر من ذلك فإن تقنين التعليم القرآني يهدف إلى محو تقاليد الثقافة الإسلامية. وأما قرار منع العلماء من التدريس في المساجد، فهو استفزاز حقيقي للإسلام ". (90)

وشهران بعد صدور قرار 8 مارس 1938 عقد المؤتمر الأفخارستي بالجزائر العاصمة من 3 إلى 7 ماي. وقد حضر المؤتمر وفود من الجيش والإدارة. وذكّرت الخطبُ الرسمية التي ألقيت فيه بتاريخ الحروب الصليبية ونجاح البعثات التبشيرية، واحتلال مسجد كتشاوة . (91)

وفي شهر مارس من السنة الموالية خرج المشاركون في مؤتمر جمعية العلماء بيقين راسخ بخصوص قرار 8 مارس 1938 الذي اعتبروه معْولاً لهدْم الإسلام ولغته في الجزائر، وأن منع مدَرّسي جمعية العلماء لا يهدف إلا لنفس الغرض، وأن غلق بعض مدارسها كان إيذانا بغلقها كلّها.

ولم يكن الحاج أحمد مصالي والعلماء بعيدين عن الصواب فيما اعتقدوه. فخلال قراءاتنا عثرنا على تصريحين من الطرف الفرنسي يثبتان ما خلص إليه مصالي والعلماء. وأول التصريحين كان لرئيس الحكومة الفرنسي دلادييه (Daladier) الذي تولى الرئاسة بعد سقوط الجبهة الشعبية، والذي قابل وفد المؤتمر الإسلامي الثاني الذي سافر إلى باريس ليقدّم عريضة مطالبه، بهذه العبارات : " ليس في أمكان فرنسا أن تمنح شعبكم حقوق المساواة مع الشعب الفرنسي ما دمتم متمسكين بشريعتكم الاسلامية. وأعلمكم ان فرنسا ما تزال قوية وأن مدافعها ما تزال طويلة المدى... " (92).

وأما التصريح الثاني فصاحبه جاك شوفالي (Jacques Chevalier) الذي قيل إنه كان ليبراليا ومتعاونا مع حركة الانتصار للحريات الديموقراطية ثمّ جبهة التحرير أثناء الحرب التحريرية، وقد بقي شوفالي هذا في الجزائر إلى غاية سنة 1963.

فإثر تدخله بصفة نائب في البرلمان الفرنسي يوم 20 أوت 1947 لمناقشة وإثراء مشروع القانون الأساسي الذي صدر في نفس السنة ليطبّق بالجزائر، فقد عارض إجبارية تعليم اللغة العربية، وبرّر ذلك بقوله : " جعْلُ اللغة العربية إجبارية في التعليم معناه دفع المسلمين أكثر للإسلام وزيادة في أسْلمتهم، ومعناه كذلك توثيق الروابط مع الجامعة العربية، ومع كلّ الذين يريدون الوصول إلى استقلال الجزائر، وإنه في الأخير إدخال البربر (كذا) عن طريق اللغة تحت نفوذ الإسلام " (93). فإذا كان هذا موقف الليبرالي سياسيًا وحضاريًا فماذا يقال عن موقف غير الليبرالي ؟.

وقبل عرض المادة التي جمعناها عن ذات الروح الصليبية خلال الحرب التحريرية، فلا بدّ من الإشارة ابتداء إلى

أن الدعاية العسكرية الفرنسية كانت تجعل دومًا " الغرب " (Occident) متلازما مع المسيحية، سواء في فرنسا أم في الجزائر أم في العالم المسيحي (94)، وعليه فإن عبارتي "الغرب" أو " الحضارة الغربية " الواردتين لاحقًا يجب أن تُفهما بهذا المعنى.

وكانت شخصيّات سياسية ودينية فرنسية مثل "بيدو" (Bidault) و لاكوست و سوستال والكاردينال (Feltin) يعرّفون الثورة الجزائرية للرأي العام الفرنسي والعالمي بأنها حركة دينية متطرّفة في خدمة الجامعة الإسلامية (95)، وكان الهدف المرجوُّ من هذا التعريفِ مزدوجاً : تشويه الثورة الجزائرية بانتزاع الفكرة الوطنية الاستقلالية منها من جهة، ومن جهة أخرى إثارة حماس المسيحيين في العالم ضدّ الجزائريين، لأن المسيحي بطبعه عضد لأخيه ضد المسلم.

وكان جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية يردّدُ: " لن أترُكَ الهلالَ يتغلّبُ على الصليب ". (96)

وقد حلل السيد فرحات عباس السياسة الدينية الفرنسية واستعمالها خلال الحرب ومدى فعاليتها في تقرير رسمي قدّم للجنة التنسيق والتنفيذ (CCE) بتاريخ 1958/07/29، وفيما يلي أهمّ ما جاء فيه بهذا الصدد : " إن الشعب الجزائري مسلم، أما فرنسا في المقابل فقد أحرزت عبر تاريخها لقب " البنت الكبرى للكنيسة " وهذا ما يضع حرب الجزائر في وضع عاطفي. نحن نعتقد أن الإنسانية قد تجاوزت مرحلة الصراعات الدينية، وهذا صحيحٌ جُزئيًّا، لكننا عندما نباشر تحليل ردود الأفعال العميقة عند الناس، فإننا نكتشف آثار ميراث ديني ثقيل. وقد كتب مؤخّرًا كاتبٌ روسيّ يدعى دي دودنستيف (De Doudinstev) كتابا يحمل عنوانا بالغ الدلالة : " **لا يعيش الإنسان بالخبز فقط** ". وهذا معناه أن كلَّ

النـــاس يجُرُّونَ وراءهم مـاضيهم وارتبـاطهم اللاشـعوري بمبـدإ روحـي.

" إن فـرنسا تستعمل هـذه الورقـة، فهـي تكتيكيًّا تحـاول عندما يخصُّ الأمر الجزائر أن تضـع المشكل فـي وضـع ديني عرقـي، فهـي تدفـع بسـوء نِيَّـتِها حتـى النـداء إلـى الحقد القديـم الموروث عن الحروب الصليبية والصراع الذي دام قرونـاً بين الصليب والهلال ".

وبعد ذكره لمقولة جورج بيدو وزير خارجية فرنسـا، وقد سـبق إثباتها، أضاف السيد فرحات عباس كاتبا : " في أمريكا الجنوبية بـالخصوص اكتشفنا أن الدعايــة الفرنسـية لصــالح الاسـتعمار بالجزائر موجّهة أساسا للدفاع عن المسيحية ضدّ الإسلام، ويقوم بتأييدها عددٌ كبير من المبشّرين الفرنسيين المتواجدين فـي هذه البلدان.

" ونبقـى مندهشين لفعاليَّــة هـذه الشـعارات. إن العـالم المسيحي الذي تصالح مع اليهودية بقي مغلقا عندما يتعلق الأمـر بالإسـلام. فبدون منـازع إننـا فـــي هـذا الميـدان أمـام انبعــاث الصراعات القديمة، فخشية القرون الوسـطى وذكـرى التهديدات التي أثقل بها الإسلام أوروبا المسيحية لم تَـنْـمَـحِ بعد " (97).

ودائمًا في نفس السياق كـانت بعض الجرائد الفرنسـية الواسعة الانتشار تضع هي كذلـك حـرب الفرنسـيين للجزائريين في إطار ديني – صليبـي، إمَّـا تصريحيـاً أو تلميحـا، فقد كتبت جريدة <u>Le Figaro</u> بتاريخ 1954/11/07 تحت هذا العنـوان : " مجـاهدو الحـروب الصليبيــة بعمامــات سـوداء علــى الحـدود الجزائرية "، ومما جاء تحت هذا العنوان : " حسـب المعلومـات الـواردة إلـى تونـس مـن الحـدود الجزائريـة، فقد شـوهدَت عـدَّةُ عِصابـات متمـرِّدة مـن التـي تنشـط فـي جبـال الأوراس، لابســة بذلات وعمامات سـوداء ويسـمى أعضاؤها : " جنـود الحـروب

الصليبية ".(98) وتعمّد الجريدة ذكر عبارة " جنود الحروب الصليبية " في وصفها للجنود الجزائريين بمثابة المحرّك الروحي القويّ باستحضار الحقد الصليبي الموروث عن طريق الإيحاء اللفظي. وهي طريقة نفسية معروفة ومضمونة النتائج.

وإثر عمليات 20 أوت 1955 في دوار العلمة بالشرق الجزائري حمل جنودٌ فرنسيون مواطنين جزائريين في طائرات الهليكبتر ورموا بهم من السماء متهكّمين : " اذهبوا واستنجدوا بمحمّدكم وبمسوؤليكم ليحْمُوكُم " (99) .

وكان الجنرال آلار (Allard) الذي تولى قيادة الجيش الفرنسي بقسنطينة ثم انتقل إلى الجزائر سنة 1956 مهتمًا بشرح أهمية الحرب التي كانت تخوضها فرنسا في الجزائر بوصفها (أي فرنسا) " آخر ضامن لبقاء الحضارة الغربية بإفريقيا الشمالية " . (100)

مثـله مثل العقيد لُورُوا (Leroy) الذي كتب عنه إيف كوريير هذه الأسطر : " لُورُوا مزاج غريب من إقطاعي واشتراكي و " وحداته المتحركة للدفاع عن القيم المسيحية " التي اتّخذت راية ضُرب عليها صليبٌ وسيفٌ، قد قضت على الفيتناميين الذين كانوا يتواجدون بالمنطقة التي كانت خاضعة لسلطة لوروا (أي إثر الحرب الفيتنامية الفرنسية). فهو منذ فاتح سنة 1956 ببلاد القبائل يكوّن وحدات أهلية خاصّة " (101) . ورُوحُ لورُوا الصليبية لم تبق دون شكّ في فيتنام. فهي راسخة تتّبع صاحبها أينما حلّ وارتحل.

وأما العقيد بيجار (Bigeard) قائد المظليين الذين سامُوا الجزائريين سوء العذاب، فقد كان يرفع معنويات جنوده ويحمّسهم بهذه الكلمات : " نحن ندافع عن الغرب، إننا هنا (أي بالجزائر) سفراء الصليبيين! ". (102)

عقيدٌ فرنسيٌّ تميّز بهذه الروح كذلك، وهو بروازا (Broizat)، وقد كان حائزا على الدكتوراه في علم اللاهوت المسيحي، وكان منظّر الحرب الهجومية في الجزائر. ورئيس ديوان الجنرال ماسي (Massu) (103) وكان متحمّسا للغاية للدفاع عن " آخر معقل للغرب المسيحي " (أي الجزائر). وكان يلقبُ بـ " الجندي الراهب ". ولما باشرت الحكومة الفرنسية التفاوض مع جبهة التحرير الوطني انضم سنة 1961 إلى المنظّمة السرية (O. A. S) المعارضة كما هو معروف لاستقلال الجزائر. وبعد إخفاق مشروع هذه المنظمة فرّ بروازا إلى اسبانيا ومنها إلى كليدونيا الجديدة أين تفرّغ لخدمة الدين المسيحي. (104) ونضم إلى العقيد بروازا الجنرال أوليي (Olié) القائد العسكري لعمالة قسنطينة سنة 1958 الذي كان متحمسا للمسيحية (105).

وأما الجنرال دي غول (De Gaulle) الذي تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية في صائفة 1958 فقد كان يحبُّ الاجتماع مع الجنود الفرنسيين عندما كان يزور الجزائر. فكان إذا صادفت زيارته للصفوف الأمامية يوم أحد، أقام معهم الصلاة المسيحية (Messe). وقد كتب كلود باياط (C. Paillat) واصفا إقامة صلاة مسيحية بأعالي بلاد القبائل في شهر ديسمبر 1958 : " كان العلم يرفرف (...) عندما حضر الجنرال دي غول وثلاثمائة ضابط مدعوٌّ الصلاة في الهواء الطلق (...) وقد تأثر الضباط المدعوُّون لبساطة مراسيمها..."(106).

وفي نفس الشهر من نفس السنة، وبمناسبة مغادرة الجنرال صالان (Salan) الجزائر، جرّهُ دي غول إلى كتدرالية الجزائر ليحضُرا معًا صلاة مسيحية ضخمة (107). وإثر احتفال عسكري في مدينة سعيدة التفت الجنرال دي غول

إلى العقيد بيجار وقال له : " إنني لا أرى كثيرًا من صلبان اللورين (Croix de loraine) على هذه الأعلام، والمفروض أن تُدوّي جَرْسُ الكنائس عند وصول رئيس الجمهورية " (108) .

وجاء في كتاب الجنرال دي غول الذي يحمل عنوان : "**مذكرات أمل**" وهو جزء من سلسلة كتبها الجنرال : " إن الأطر والجنود (الذين كانوا يحاربون الجزائريين) هم فخورون بحق. فهم يخوضون صراعًا خطيرًا، قد يخيِّب ظنهم مرات عدة إنه متعب في بعض الأحيان (...) لكنه هو كذلك نوع من الحرب الصليبية أين تتمُو وتتأكد في محيط معزول القيم الخاصة بالمجازفة والفعل (...) " (109) . وفي موضع آخر من كتابه هذا يُدْرِجُ الجنرال عمل المبشرين ضمن ما أسماه بـ " التطور العصري " الذي حُقِّق خارج الحدود الفرنسية، وجاء ذكره للمبشرين في الترتيب قبل ذكر المهندسين. كتب دي غول : " إن بلدنا معتزٌّ بالنجاح الإنساني الذي مثلته بداية التطور العصري الذي حُقّقَ في بلدان ما وراء البحار (أي المستعمرات الفرنسية) وهذا بفضل عمل جمهور غفير من الجنود والإداريين والمعمرين والمبشرين والمهندسين " (110) .

ولم يتردد الجنرال دي غول في إلغاء قانون الأحوال الشخصية الإسلامية واستبداله بالقوانين اللائكية الفرنسية وإلزام الجزائريين بالعمل بها. جاء في مقال في جريدة **المجاهد**، عدد 45 بتاريخ 1959/07/06 تحت عنوان : " الاستعمار والإسلام في الجزائر " تنبيه واستنكار لهذا الأمر. وقد كتب صاحب هذا المقال الذي لم يذكر اسمه : " بأمر رقم 59274 المؤرخ بيوم 4 فبراير 1959 فإن رئيس الجمهورية الفرنسي (دي غول) وبناء على الصلاحيات التي خولت له قد أمر بتغيير القوانين الإسلامية المتعلقة بالزواج والطلاق. فهذا الأمر قد أمضاه شارل دي غول وصادق عليه كلٌّ من ميشال ديبري، الوزير الأول

وجاك سوستال، وزير مفوض لدى هذا الأخير، وإدموند ميشلي، وزير العدل (...) فكلهم تجرأوا على ضرب القرآن وفرضوا على المسلمين الجزائريين القوانين اللائكية الفرنسية وهذا في أقدس مجال وهو مجال الأحوال الشخصية ".

ثم إن " إعانة " فرنسا لمستعمراتها من منظار دي غول نابعة من رغبة جامحة ونظرة مستقبلية مدروسة لتمكين اللغة الفرنسية كأداة والثقافة الغربية كمحتوى حضاري تحمله هذه اللغة.

كتب دي غول : " حتى تتكلم بلدان ما وراء البحر لغتنا وتقاسمنا ثقافتنا فلابد من اعانتها " (111). وعن " اعانة " الجزائر في إطار مشروع قسنطينة كتب الجنرال : " إننا مستعدون لإعانة تنمية الجزائر بإمدادها كل عام بدعم مالي هام وبمواصلة تنفيذ مشروع قسنطينة، وبإعانة مختلف النشاطات بتقنيينا، وباستقبال العمال والطلبة الجزائريين في أوسع مجال، وبإمداد الجزائر بالمعلمين في كل أطوار التعليم الوطني حتى تتكون النخبة الجزائرية في الثقافة الفرنسية وحتى يتعلم الشعب باللغة الفرنسية " (112).

وفي آخر بحثنا هذا نتعرض إلى عقيدة المنظمة السرية (O.A.S) التي كانت ألدّ عدُوٍّ للشعب الجزائري وحريصة على أن تبقى الجزائر فرنسية إلى الأبد. وقد عارضت بشدة الجنرال دي غول عندما دخل في مفاوضات جديّة مع جبهة التحرير الوطني سنة 1961، والتي انتهت في مارس من السنة الموالية باتفاقيات إيفيان التي منحت للجزائر استقلالها في إطار التعاون مع فرنسا.

وقد حاولت المنظمة السرية أن تقتل دي غول أكثر من مرة، وعملت كل ما في وسعها، بمساندة فعلية من بعض ضباط الجيش السامين الفرنسيين في الجزائر وبعض الشخصيات

السياسية الفرنسية في باريس، لتستميل الجيش الفرنسي والفرنسيين إلى موقفها، وكان شعارها الصليب داخل حرف(V) باللغة اللاتينية. (113)

وقبل ظهور المنظمة السرية سبقتها تنظيمات وجمعيات أنشأها المعمّرون في الجزائر دافعت عن نفس الفكرة بغلاف ديني كذلك. وقد كتب إيف كوربير مُجْمِلاً الحديث عن هذه الجمعيات والتنظيمات ما يلي : " أصبح جان جاك سوزوني (Susini .J. J) رجل الصليب السلتي (Croix celtique)، وهو شعار بدأت تعرفه الجزائر، وقد أسّس حركته الخاصة وهي الحركة الوطنية الطلابية (114). وهذا لم يمنعه من اعتلاء منصّة الحركة الشعبية 13 (كذا) (MP13) التي أنشأها مارثل نعمزمتيجة والتي شعارها " القلب والصليب "، وأخيرا انضمّ الشاب سوزوني بحماس (...) إلى الجبهة الوطنية الفرنسية (FNF) التي أنشأها (Jo Ortiz) في نوفمبر 1958. وقد اختار أورتيز هو كذلك الصليب السلتي كشعار، وقد اقنعه بحسن هذا الاختيار الإخوةُ سيدوس (Sidos) الذين أصبحوا أصدقاءه " . (115)

وخلال التجمّعات والمظاهرات التي نظّمت في الجزائر بدفع قويّ من الشخصيات السالفة الذكر وغيرها، بعد خطاب دي غول بتاريخ 16 سبتمبر 1959 الذي ذكر فيه إمكانية تقرير الجزائريين لمصيرهم، رفع المتظاهرون صلبانا إلى جانب لافتات ترفض ما صرّح به الجنرال دي غول (116).

وأما جبهة الجزائر الفرنسية (F.A.F) التي أنشئت يوم 15 جوان 1960 بالجزائر، فقد وزّعت بعد ظهورها منشورا تصدّرته عبارة " لبي الثاني عشر (Pie XII) (أحد رؤساء الفاتيكان) تدعو : " صليبيي القرن العشرين إلى إقامة الراية الزرقاء والبيضاء التي عليها قلب وصليب ". 117)

وخلال شهر أكتوبر 1960 حضر الجنرال صالان (Salan) أحد أقطاب المنظمة السرية، بباريس صلاة مسيحية خاصة بذكرى القتلى الفرنسيين بالجزائر وقد نظم هذه الصلاة الجنرال (Vesinne la rue) رئيس جمعية الفرنسيين العائدين من إفريقيا الجنوبية . (118)

ويلاحظ القارئ هذه السُنّة الجديدة عند المتحمّسين للجزائر الفرنسية بإحداث صلاة دينية في جوهرها سياسة استعمارية صليبية في أبعادها.

وقد بادر بإحداث هذه السُنّة المعمّرون المختلطون ببعض عناصر الجيش الفرنسي إثر محاولة الانقلاب الفاشل بدي غول الذي وقع بالجزائر بتدعيم من مجموعة من الضباط السامين يوم 13 ماي 1960، إذ أقاموا الصلاة المسيحية وراء المتاريس التي نصّبوها. (119)

وقد غادر لاغايارد (Lagaillard) أحد مدبّري هذه المحاولة الفاشلة الجزائر بعد أن أدى إشارة الصليب تجاه جموع غفيرة من الأوروبيين في الجزائر العاصمة جاءت لتودّعه.(120)

وجْهٌ آخر من الجنرالات المعارضة لسياسة دي غول الجزائرية وقطب من أقطاب المنظمة السرية الجنرال شال (Challe) الذي توجّه إلى الجنود الفرنسيين المتربصين بأرزيو، بمركز التكوين للحرب المضادة بهذه العبارات : " نرتكب خطأ فادحًا عندما ندّعي أن على الجيش ألا يمارس السياسة (...) فإذا كانت الحرب سياسة فلا بد أن يمارسها الجيش (أي السياسة) فليس الغرض ربح الأحجار، فلا بد أن يكون الجيش جيش مبشرين (...) إنني ملزم بأخذ عصا الحاج (121) والذهاب لنشر عقيدة بدونها لن نقوم في الجزائر إلا بحرب شكلية " . (122)

خــــــاتمة

نرجو أن نكون قد وضعنا أمام القارئ المهتم والباحث المتخصص مجموعة معتبرة من الشواهد الدالة دون ريب على تمكّن الروح الصليبية في جمهور من الشخصيات الفرنسية المدنية والعسكرية وجمهور المعمرين الفرنسيين، وهكذا نكون أدرجنا العامل الديني بالشواهد التاريخية بعيدًا عن كل ذاتية إلى جانب العوامل الأخرى الاقتصادية والجيوسياسية كدافع هام في استعمار الجزائر ودوام الاستعمار فيها إلى غاية 1962.

ولاندّعِي أن العامل الديني كان هو السبب المباشر لقدوم الفرنسيين إلى الجزائر والسبب الوحيد لبقائهم فيها مائة وثلاثين سنة كاملة، غير أنه كان بالمقابل عاملا أساسيا ومحركا قويا للساسة وللجيش وعامة الفرنسيين . وقد أوضحنا ذلك في عرضنا للموضوع.

هذا وقد حرصنا على أن نمثّل لكل الفترة الزمنية التي بقي فيها الاستعمار في الجزائر حتى نبيّن تواصل هذه الروح، وبقاءَها حيّة في الوسط الفرنسي مستمرة حتى خارج الإطار الزماني الذي حدّدْناه لبحثنا، ألم يقل جسكار ديستان (Giscard d'Estaing) الذي شغل منصب أمين الدولة للمالية سنة 1960 وانتخب رئيسًا للجمهورية الفرنسية بعد

الرئيس بُونْبِيدو (Pompidou) في مناسبة رسمية سنة 1977 بأن " فرنسا هي وريثة روما إذ هي البنت الكبرى لروما ثم للكنيسة " . (123)

وجد هام في اعتقادنا أن يخرج هذا البحث إلى جمهور القراء في العالم العربي والإسلامي عامة والجزائر خاصة حتى نخرج بل نتخلّص من مناهج المدرسة الغربية والفرنسية بالخصوص التي درست تاريخنا من زاوية التأريخ للفرنسيين من جهة واعتمادها من جهة أخرى إيديولوجية مادية لتفسير الأحداث التاريخية، وبالتالي فقد ألغت أو قلصت إلى أبعد حد أهمية الدين كمحرك معتبر لهذه الأحداث، لا تماشيا مع ما حَدَثَ فعلا بل من منطلق ذاتيٍّ مُؤوّل.

تم بحمد الله

الهوامش

(1) في موضوع الحركة التبشيرية في الجزائر في القرن 19، انظر كتاب خديجة بقطاش.

(2) العبارة للأستاذ د. عبد الجليل التميمي، وهي جزء من عنوان مقاله :

" التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر . المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، 1974، ص. ص 12 ـ 24

(3) يراجع بهذا الصدد كتابات لوروا بوليو (Leroy Beaulieu) منظر السياسة الاستعمارية في القرن 19، وكذا مؤلف :

Gilbert Meynier : L' Algérie révélée : librairie Droz Genève 1981.

وبالخصوص ص.ص 35 — 44 و 183، التي عرض فيها الكاتب مفاهيم مجموعة من المنظرين الفرنسيين في " السياسة الأهلية " في الثلث الأول من القرن 20.

(4) Roger Garaudy . Appel aux vivants, éd., du seuil Paris . 1979, p 58

(5) عن كتاب الإسلام على مفترق الطرق ، تأليف ليوبولد فايس(محمد أسد)، ترجمة د/ عمر فروخ، نقلا عن سيد قطب،العدالة الاجتماعية في الإسلام ط 5. دار الشروق، 1978، ص . 257.

(6) Revue Africaine, vol. 70, Alger, 1929 printed in Suisse , 1971, pp. 215 - 241

وجاء طلب وزير الحربية ضمن تقريرمطول حوى 26 صفحة كاملة.

(7) د/ عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص. 14.

(8) تصريح وزير الخارجية الفرنسي البارون دي داماس، وقد ذكره:

Amar Hamdani , La vérité sur l' Expédition d' Alger éd. Balland , 1985 , p. 82

Cooley. John; K.Boal: christ and Mohamed religion and revolution in North Africa . USA . 1937. p. 168.

(10) ذكر : Jules Tournier , La conquête religieuse de L'Algérie

Librairie Plon . Paris . 1930 . p51 .

أنّ عددهم خمسة عشر قسيسا.

(11) د/ عبد الجليل التميمي، مقال سابق .

(12) ذكر قوله هذا : Mostapha Lacheraf, L'Algérie, nation, et société, éd. François Maspéro , Paris . 1969 , p 51.

(13) J. Tournier, loc-cit. p.51.

(14) Ault - Dumesnil . De l'expédition d' Afrique en 1830, Paris, 1832 , pp 125-126
وقد ذكر نفس الكاتب أن البارون اكستين (d' Eckstein) قد شبّه الحملة الفرنسية على الجزائر بالحروب الصليبية. وذكر كذلك شخصية فرنسية تدعى (De la Mennais) كتبت في جريدة **المستقبل** الصادرة يوم 22- 12-1830 هذه الانطباعات : "الآن وَ لتُوا أنظاركم اتجاه الشرق وانظرْوا انهيار الإسلام (...) لا يمكننا البقاء مطوّلا في الجزائر إلا باستبدال القرآن بالإنجيل " (ص ص. 141-144).

(15) د/ عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص. 15، وقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة أنه تم في عهد بورمون رغم معارضة مجلس بلدية العاصمة الذي كان عضوا فيه ــ تحويل عدد من المساجد إلى مستشفيات للجيش، انظر المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق د محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع الجزائر، 1975، ص. 281 .

(16) د عبد الجليل التميمي، مقال سابق ص. ص 17 ـ 18 نقلا عن :
DEMONTES Victor , La colonisation militaire sous Bugeaud , Paris - Alger , 1917 , p. 445 et PICLET , Les missions catholiques françaises au XIXè siècle , T. S , Paris , 1925 , p. 60 et: PAVY , Mgr. , Mémoire à consulter sur la création des évêchés d' Oran et de Constantine, 2ème éd. Alger , 1864, p21

(17 نفسه.

18) المرآة، مصدر سابق، ص ص 282 ـ 283، وبناء على هذه الوصية صرح جانتي دي بوسي، المتصرّف المدني، بأن جميع المساجد والمؤسسات الخيرية والأوقاف ملك للدولة. و" هكذا تم الاستحواذ على جزء كبير من المساجد، اكترى بعضها لتجار حولوها إلى محلات، وخصّص بعضها الآخر لإسكان جيوش الحملة " (نفسه، ص. 262).

19) نفسه، ص. ص 281 ـ 282.

20) نفسه، ص. ص. 299 ـ 250.

21) نفسه ، ص. 256.

22) نفسه، ص. 280 .

(23) BERTHEZENE (le Baron). Dix-huit mois à Alger , ou récit des évènements qui s'y sont passés , A Montplier 1834 pp. 39 - 52.

(24 DELORT (R) , Notes sur L'ouvrage du général Berthezène , intitulé : Dix huit mois à Alger , Boudon 1934. Imprimerie de J.A. P.68.

25) له كتيّب في حوالي سبعين صفحة أرّخ فيه لهذا الحدث وغيره، لكننا للأسف لم نعثر عليه بالمكتبتين الوطنية والجامعية رغم بحثنا الحثيث، لذا نكتفي بما نقل عنه جوليان.

26) كان الاحتلال الفرنسي حينذاك مقتصرًا على العاصمة وبعض الأميال فيما يجاورها.

(27 Charles André Julien , Histoire de l'Algérie contemporaine T.1 , la conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871), 91 - 92.P.U.F , Paris , 1964 , pp

(28 Correspondance du général Voirol (commandant par interim du corps d'occupation d'Afrique (1833 - 1834), par Gabriel Esquer , Paris , 1924 , pp. 785 - 787 .

29) وزير الحربية الفرنسي (سُولت) كان هو أيضا متحمّسًا للدين وكان كثير المدح للجنرال (رَانْدُون) الذي تميز بالتدين
ونشر المسيحية في الجزائر. انظر :

J.Tournier, Op., Cit., p. 203

(30) نُقلت هذه المرأة في عهد الحاكم العام Drouet d'Erlon سنة 1836 إلى مرسيليا صحبة رئيس الديرسبيتز، انظر د.عبد الجليل التميمي مقال سابق، ص. 17 نقلا عن :

Gabriel Esquer , Correspondance du général Drouet d'Erlon Paris , 1926 , pp. 123 - 125.

(31) J. Tournier . Op. Cit. p. 77.

(32) لا يخفى على القارئ كذب الجنرال فالي في دعواه هاته.

(33) LouisVeuillot, les Français en Algérie, Souvenirs d'un voyage, fait en1841, A. mame et cie, Tours, 10 ème éd , pp 293-294

(34) Rapport de Bugeaud , gouverneur général de L'Algérie , sur les moyens d'affermir et d'utiliser la conquête de L'Algérie.
ministère de la guerre , 15 janvier 1844 ,
26 feuilles manuscrites .

(35) Lieutnant général BUGEAUD , Mémoire sur notre établissement dans la province d' Oran,
Paris , 1838 , p. 45.

(36) والجنرال دو فيفيي هونفسه كان مندفعاً بروح دينية قويـة، لا تنقص اندفاع (بُوجُو). انظر كتابه :

Algérie . 14 observations sur le dernier mémoire du Général Bugeaud , Paris , H.L., Delloye , éd.
librairie Garnier frères , 1842 , 142 pages.
انظر بالخصوص ص. ص، 138 ـ 142.

(37) H.D'ideville , le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits , 1784 - 1849 , T.III , Paris , librairie de Firmin - Didot et cie , 1882 , pp.297 - 298.

(38) نفسه، ص. ص. 294 و 296، 309.

(39) د/ عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص. 20.

(40) نفسه.

(41) H .D'ideville . loc. cit. p. 305.

(42) J. Tournier . Op. Cit . p. 211 .

(43) قاد هذا الملك حملة صليبية ضد تونس أين لقي حتفه.

(44) ذكره : M .Lacheraf, Op. Cit, p. 301.

(45) انظر : M.Lacheraf, Op. Cit. p.52 . ولهذا الرحالة الفرنسي كتاب تحت عنوان : Voyage en Algérie , 1845.

(46) مثله مثل كتاب : Ault Dumesnil السالف الذكر.

(47) Louis Veuillot , Op. Cit , pp.5 - 6

(48) نفسه، ص. 210.

(49) د / عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص. 21 نقلا عن :
René Pottier , la croix sous Le burnous , Paris , 1952 , p. 62.

(50) E. Keller, Le général de la Moricière, sa vie, militaire politique et religieuse , T1 , 1874 , Paris , librairie militaire , pp. 43 - 44.

(51) د / عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص . 21

(52) Keller . Ibid. , p. 509

(53) نفسه، ص. 488.

(54) وهو نفس ما وصف به دومسنيل الصليبيُّ الحاقد الجزائريِّين. انظر كتابه السالف الذكر، هامش ص. 41.

(55) ذكر هذا النشيد : M .Lacheraf , Op. Cit , p 210.: عن :
Demanget, Blanqui à Belle -Isle.

(56) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830 — 1900) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 238 — 240، نقلا عن أرشيف وزارة الحربية بفانسان تحت رقم :H. 229، وبالمقابل فإن عدد المساجد في العاصمة قد تقلّص من 176 مسجدًا، منها 13 مسجدًا كبيرًا، و109 صغيرًا سنة 1830 إلى 47 فقط سنة 1862، خصّص منها 21 للدين الإسلامي، يراجع كتاب :
A. Devoulx , Les édifices religieux de l'ancien Alger . Alger, typ. , Bastide , 1870 , 265 pages.

(57) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق.

(58) محاضرات الأستاذ الدكتور/ أبو القاسم سعد الله.

(59) Marcel Emerit, « le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le second Empire, le conflit entre Mac-Mahon et Lavigerie » in Revue Historique, Janvier - mars 1960,.

(60) تقرير علي باشا السفير العثماني بباريس المرسل إلى وزير الخارجية العثماني بتاريخ 22 اكتوبر 1864. وزارة الخارجية باسطنبول، نقلا عن التميمي، مقال سابق، ص. 22.

(61) ذهب أيميريت (مقال سابق) إلى أن انتفاضة 1871 في الجزائر كان سببها نشاط المبشرين الحثيث في منطقة القبائل، وهذا الاستنتاج فيه مبالغة، فالجانب الديني كان سببا قويا في الانتفاضة غير أنه لم يكن السبب المباشر الوحيد، كما ذهب إليه ايميريت، فالظلم الاستعماري في كلّ المجالات كان كذلك وبدرجة قوية سببا مباشرًا للانتفاضة.

(62) Charles Robert Ageron, Les Algériens musulmans et la France (1871 - 1919), 1ère éd., T.1, P.U.F, 1968, pp. 301 - 302.

(63) جاء في العريضتين اللتين بعث بهما أعيان جزائريون من الشرق الجزائري سنتي 1887 و 1892 إلى السلطات الفرنسية البرلمانية بأن المساجد في بلاد القبائل تكاد تنهار رغم تكرار طلب سكان المنطقة للسلطات بترميمها، وأن مدينة باتنة ليس فيها مسجدٌ، وأن السكان كانوا يجمعون التبرعات من المحسنين لبنائه عوض أن يخصص له قسم من ميزانية البلدية كما كان الشأن بالنسبة للمنشآت المسيحية. وكان المشرفون على المساجد والمؤسسات الدينية يتقاضون أجورًا زهيدة، فكان أحسنهم الإمام الخطيب والمدرس اللذين كانا يتقاضيان فرنكين وخمسين سنتيما في اليوم.!

(64) Charles Robert AGERON, Op.Cit. p.302، وقد ذكر الشيخ محي الدين القليبي التونسي أن كثيرا من أيتام العطاف قد انتقلوا بالسكنى للإيالة التونسية بحقل سان جوزاف

دي تيار (كذا) انظر : " ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي... الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخارستي " المجلة التاريخية المغربية،عددان 19 - 20، أكتوبر 1980، ص.ص 270، 299.

(65) Annie Rey- GOLDZEIGUER , Le royaume arabe, SNED, Alger, 1977 , pp 498 - 499

(66) و (67) نفسه، ص. 500.

(68) د. عبد الجليل التميمي، مقال سابق ص ص. 22 - 23.

(69) لعل بريان هذا هو نائب أمين الدولة الفرنسية المكلف بالفنون الجميلة، فقد جاء في النشرية إفريقيا الفرنسية (L' Afrique Française)، عدد 12 ديسمبر 1910 ص 386. بقلم فكتور ديمونتيس : " أخطر نائب أمين الدولة للفنون الجميلة. الحاكم العام يوم 14 نوفمبر (1910) بأنه يعترض على تحويل المسجدين وإعادة بنائهما (بالقصبة) .

(70) وهم ممثلو المعمرين في البرلمان الفرنسي بباريس بخصوص مصاريف الميزانية المخصصة للجزائر.

(71) .Gilbert Meynier , Op . Cit. , pp 170 - 171

(72) حكم جونار فترتين بالجزائر، الأولى منذ بداية القرن إلى سنة 1911، ثم عاد بعد حكم لوطو (Lutaud) بعد الحرب العالمية الأولى.

(73) لقد حفظ الله المسجدين فهما شامخان عامران إلى اليوم غير أن المهندس الفرنسي قد استطاع أن يغيبهما بعض الشيء عن الأنظار برفع البناء حواليهما، فإن الداخل إلى المسجد الجديد مثلا ملزم بنزول درج يقدّر طوله بما لا يقل عن ستة أمتار، فأصبحت بالتالي قاعة الصلاة فيه منخفضة على سطح الساحة الواسعة المجاورة.

بينما وضعت كنيسة " سيدة إفريقيا " على مرتفع أعالي العاصمة فتظهر للرائين من أنحاء عدة. ومن الأضداد تتضح الأشياء.

(74) Gilbert Meynier , Loc.Cit., p. 713، وقد أكد مرة أخرى قانون الجزائر الذي صدر يوم 20 / 09 / 1947 على ضرورة

التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية للحصول على نفس حقوق الأوربيين في الجزائر.

(75) نفسه، ص 32.

(76) نفسه، ص 561.

(77) لعل الغرض كان استقطاب المغاربة عموما الذين شاركوا في هذه الحرب إلى جانب فرنسا بأعداد كبيرة، ودفعهم بهذه الطريقة إلى التفاني أكثر في الدفاع عن فرنسا.

(78) بُني هذا المسجد المتواضع على عجل خلال نفس الحرب.

(79) نفسه، ص 540.

(80) نفسه، ص 504.

(81) د. عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 23.

(82) (1858 — 1928)، كان ضابطا وموظفا مدنيا وكاتبا باللغتين العربية والفرنسية وقد اعتبر وطنيا معارضا وممثلا للمسلمين الجزائريين.

(83) L'Echo d' Alger 13 Juin 1921 in M.Kaddache Histoire du nationalisme algérien , T.1 SNED, Alger 1980 , p. 53

(84) نقلت تصريحه هذا صدى الجزائر بتاريخ 31 أكتوبر 1924، نقلاً عن : M. Kaddache, Ibid

(85) الشيخ محمد خير الدين، مذكرات ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون تاريخ للطبع، ص. 81. ويظهر أن ذاكرة الشيخ خير الدين قد ضعفت لأن تأسيس الجمعية كان في 1931، فيحتمل إذن أن يكون هذا الحدث قد وقع بعد تأسيس الجمعية لا قبلها.

(86) Malek Benabi , « Les avatars de l' arabisation », in Révolution Africaine , 02 Juin 1968 , article receuilli dans : pour changer l'Algerie , st. d'édition et de communication , Ouled Fayet Tipaza , 1989 , p . 76

(87) فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحّال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، بدون تاريخ للطبع، ص.ص . 147 ـ 148.

(88) محمد نغوي، مظاهر المقاومة الجزائرية ص. 109.

(89) محي الدين القليبي، مقال سابق، ص. 271، وقد خصصت وزارة الخارجية، حسب نفس المصدر، مليونين من الفرنكات إعانة لإقامة المؤتمر الافخارستي في تونس، وقد عقد من 3 إلى 6 ماي 1930.

(90) ذكر هذا المقطع : Benjamin Stora , Messali Hadj , 1898 - 1974 , pionnier du nationalisme algérien éd. Rahma , 1991 , p. 115

(91) انظر ملخص ذلك عند :

M. Kaddache , Op. Cit. T.II, p. 592 .

وقد اعاد الجزائريون مسجد كتشاوة إلى حضيرة الإسلام بعد الاستقلال.

(92) محمد الطاهر فضلاء، النهضة الوطنية الجزائرية، ط1، قسنطينة، 1984، ص. 99. ويقال إن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أجابه بأن " الله أكبر من فرنسا " .

(93) M. Kaddache, Ibid, pp. 769 , 770، وهو اتجاه أقطاب واضعي السياسة البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى ومنهم بول مارتي (Paul Marty) وكان مديرا للتعليم بالمغرب الأقصى بعد الحرب العالمية الأولى، وقد تصوّر استقلالا ذاتيا حقوقيا للبربر وتقاليد اجتماعية تقضي على كل إسلام، وأبعد كلّ تعريب وكان يقول : إن اللغة العربية عامل إسلام، لأن هذه اللغة تتعلم في القرآن، وذكر أن مصلحة الفرنسيين تُملي عليهم أن يتطوّر البربر خارج الإسلام، (انظر : أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية بين 1930 — 1940 ؛ ذكريات ومواقف وأحداث، ج 1، الدار البيضاء، 1992.

(94) ClaudePaillat, Dossier secret de l'Algérie , T.II , Le livre contemporain , Paris , 1961 , p 324.

(95) EL- MOUDJAHID, édité en Yougoslavie , T1. p72

(96) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 249.

(97) Mohamed Harbi , Les archives de la Révolution Algériènne , éd. Jeune Afrique , 1981 , p. 200.

(98) مولود قاسم نايت بلقاسم، " ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر (...) "، الملتقى الأول لتاريخ الثورة، 28 ــ 31 أكتوبر 1981 في الطريق إلي نوفمبر كما يرويها المجاهدون ، المجلد الأول، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، بدون تاريخ للطبع ص. 146.

(99) تدخُّل العقيد عمار بن عودة، في الملتقى الثاني لتاريخ الثورة، ج2، المجلد الثالث، ص. 37.

(100) Yves Courriere , L'heure des colonels , Fayard , Paris , 1970 , p . 31.

(101) نفسه. ص.ص : 42 ـ 43.

(102) شريط وثائقي عن حرب الجزائر، بثته القناة الفرنسية A2 يوم 29 جوان 1992.

(103) وصف إطار من إطارات الثورة الجزائرية الجنرال ماسي (Massu)، بأنه جدُّ متعلّق بالمسيحية ، انظر :
M'hamed Yousfi , L'Algérie en marche , T.II , ENAL, Alger, 1985 , p . 97

(104) . Yves Courriere , loc ; cit , pp 512 - 513, et Alistair Horne, Histoire de la guerre d'Algérie, traduit de l'anglais par Yves du guerny, 3ème. , éd., Albin Michel , Paris , 1987 , pp. 376 - 569.

(105) Claude Paillat , Op. Cit. p. 230

(106) و (107) نفسه ، ص. 282

(108) نفسه ص. 273

(109) Charles de Gaulle , Mémoires d' espoir le renouveau 1958 - 1962, Plon, Paris, 1970 , p 79

(110) نفسه، ص.ص. 41 ـ 42 .

(111) نفسه، ص. 43

(112) نفسه، ص. 120

(113) انظر صورة لهذا الشعار على ظهر غلاف كتاب :

Yves Courriere <u>Les feux du désespoir</u> , T.IV, .Fayard , Paris , 1970

(114) كان سوزوني طالبا في الطب بالسنة الرابعة، وكان عمره حينذاك ستا وعشرين سنة.

(115) <u>L'heure des colonels</u> , Op.cit, p. 560

(116) " <u>حرب الجزائر</u> "، شريط ، بثته القناة الفرنسية A2، وقد سبقت الإشارة إليه.

(117) C. Paillat . Op. . Cit. . p. 458.

(118) نفسه، ص. 480.

(119) L'heure des colonels , Loc. . cit, p. 712

(120) <u>حرب الجزائر</u> ، شريط وثائقي.

(121) العبارة دينية مشهوراستعمالها في اللغة الفرنسية :
(prendre son bâton de pellerin).

(122) C. Paillat , Op. , cit. , p.321

(123) مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص . 151.

مصادر و مراجع البحث

I ـ المصادر العربية و المعرَّبة

أ) ـ الكتـــــب

ابن العقون، عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.

خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1975.

خير الدين، محمد (الشيخ)، مذكرات، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون ذكر تاريخ للطبع.

زوزو، عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1930 ـــ 1900) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

عباس، فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال مطبعة فضالة، المحمّدية، المغرب الأقصى، بدون ذكر لتاريخ الطبع.

فضلاء، محمد الطاهر، النهضة الوطنية الجزائرية، ط1، قسنطينة، 1984.

قطب، سيّد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط5، دار الشروق، بيروت، 1978.

* * *

ب) ـ المقالات و الدراسات

التميمي، عبد الجليل (الدكتور)، " التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر "، المجلة التاريخية المغربية، العدد الأول 1974، ص.ص. 12 - 24

القليبي، محيي الدين (الشيخ)، " ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي... الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخارستي "، المجلة التاريخية المغربية، عددان 19 ـ 20، 1980 ص. ص. 270 ـ 299.

نايت بلقاسم، مولود قاسم، " ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر..."، الملتقى الأول لتاريخ الثورة، 28 إلى 31 أكتوبر 1981، في الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المجلد الأول، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون ذكر لتاريخ الطبع.

II ـ المصادر و المراجع باللغة الأجنبية

أ) الكتـــب

AGERON (charles Robert), Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), 1ère, éd. T1, PUF, 1968.

BERTHEZENE (le Baron), dix huit mois à Alger ou récit des évènements qui s'y sont passés, A Montpelier, 1834, 305 pages.

BUGEAUD (lieutenant général), Mémoire sur notre établissement dans la province d'Oran, Paris, 1838.

BUGEAUD (Gouverneur général de l'Algérie), Rapport sur les moyens d'affermir et d'utiliser la conquête de L'Algérie,ministère de la guerre, 15 janvier 1844, 26 feuilles manuscrites.

COURRIERE, (Yves), La guerre d'Algérie, t.III, L'heure des colonels, Fayard, Paris 1970.

COURRIERe, (Yves) la guèrre d' Algérie, t. IV, Les feux du désespoir, Fayard, Paris 1970.

DE GAULLE, (Charles) Mémoires d'espoir le renouveau, 1958 - 1962, Plon, Paris, 1970.

DELORT, (J.R), Notes sur L'ouvrage du général Berthezène, intitulé: Dix huit mois à Alger..., Imprimerie de J.A. Bourdon, 1834, 81 pages.

DEVOULX (A), Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger, typ., Bastide, 1870, 265 pages.

D'IDEVILLE (H), Le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits, 1784-1849, T.III, Paris, librairie de firmin didotet cie, 1882 459 pages.

DUMESNIL (Ault), De l'expédition d'Afrique en 1830, Paris, 1832

DUVIVIER (Général), 14 observations sur le dernier mémoire du Général Bugeaud, Paris, H.L Delloye, éditeur librairie Garnier frères, 1842, 142 pages.

ESQUER (Gabriel), Correspondance du général Drouet d'Erlon, Paris, 1926.

GARAUDY (Roger), Appel aux vivants; éd. du seuil, Paris, 1979.

GOLDZEIGUER (Annie Rey), Le royaume arabe SNED, Alger, 1977, 815 p.

GUERRE D'ALGERIE (LA), documentaire,chaine française A2, 29 / 06 / 1992.

HAMDANI (Amar), la vérité sur l'expédition d' Alger, éd. Balland, 1985.

HARBI (Mohamed), Les archives de la Révolution Algeriènne, éd. Jeune Afrique 1981.

HORNE (Alistair), Histoire de la guerre d'Algérie, traduit de l'anglais par Yves du guerny, 3ème éd. Albin Michel, Paris, 1987.

JULIEN (Charles André). Histoire deL'Algérie contemporaine, T. 1, la conquête et les -débuts de la colonisation (1827-1871), P.U.F, Paris, 1964.

KaDDACHE (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien, T1, et T2.SNED Alger, 1980.

KELLER, (E), Le Général de la Moricière, sa vie militaire, politique et religieuse, T1, 1874, Paris, librairie militaire,1874.

LACHERAF (Mostapha), L'Algérie, nation, et société, éd. François Maspéro, Paris, 1969.

MEYNIER (Gilbert), L'Algérie révélée. librairie Droz, Genève 1981.

PAILLAT (Claude), Dossier secret de l'Algérie, T.II., le livre contemporain, Paris 1961.

STORA (Benjamin), Messali Hadj,1898 -1974, pionnier du nationalisme algérien, éd. Rahma, 1991.

TOURNIER (Jules), la conquête religeuse de l' Algérie 1830 - 1845, librairie Plon, Paris, 1930.

VEUILLOT (Louis), les Français en Algérie, souvenirs d'un voyage, fait en 1841,10 ème éd, A.mame et compagnie,Tours.

VOIROL (commandant par interim du corps d'occupation d'Afrique1833-1834),
Correspondance du général Voirol, par Gabriel Esquer, Paris, 1924.

YOUSFI (M'hamed), L'Algérie en marche, TII, ENAL, Alger, 1985.

ب) المقالات والدراسات والتقارير

BENABI (Malek),« Les avatars de l'arabisation ». in Révolution Africaine, 02 Juin1968, article receuilli dans: pour changer l'Algérie, st. d'édition et de communication Ouled Fayet, Tipaza, 1989, p.76-79

CLERMONT-TONNERE, (Rapport du ministre de la guerre), in Revue africaine, vol, 70, Alger, 1929, printed in suisse1971, pp.215-241. **« Colonialisme et l'Islam en Algérie (Le)»** in «EL-MOUDJAHID», n°45, 06/07/1959, article non signé.

DEMONTES (Victor), «Les mosquées d'Alger »in Bulletin de l'Afrique française, n°12, déc. 1910

EMERIT (Marcel), «le problème de la - conversion des musulmans d'Algérie sous le second Empire le conflit entre Mac-Mahon et Lavigerie», in Revue Historique Janvier - mars 1960.

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(م)

(ن)

(هـ - و - ي)

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ج - ح)

(ر - س - ش - ط)

(ع)

(ف - ق)

محتوى الكتاب

طبع بمطبعة هومه
الهاتف:36 .19 .94 (02) و 19 .41 .94 (02)
الفاكس: 75 .17 .94 (02)

تلخيص

إن موضوع هذا الكتاب عبارة عن حقائق تاريخية عاشتها الجزائر منذ بداية الاحتلال الفرنسي إلى غاية استقلالها. أي خلال الفترة الممتدة بين 1830 ـ 1962. والكتاب يتعرض بشكل خاص إلى تلك الروح الصليبية التي اكتسبت عقول وقلوب العسكريين السياسيين الفرنسيين، فهدفهم كان القضاء على الإسلام وتعويضه بالمسيحية، ولتحقيق كل هذا استعملت كل الوسائل وأولها إلغاء المساجد وتعويضها بالكنائس وكذلك دعمهم للنشاط التبشيري.

كما أن هذا الكتاب يحمل بين صفحاته معلوماتٍ تاريخيَّة هامة جدًّا وهناك الكثير من يجهلها، وأغلب القراء متشوقين لمثل هذه الحوادث التاريخية .

دار
هومه
للطباعة والنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ
34 حي لابروفيار - بوزريعة - الجزائر
الهاتف: 94-19-56 94-41-19 الفاكس: 94-17-75

ر. د. م. ك: 9961 - 66 - 261- X